

التزكية بالقرآن الكريم

مفهومها، وأهميتها، وأركانها



مفهومها ، وأهميتها ، وأركانها

إعداد

أ . د . طه عابدين | د. ياسين قاري

د. فخر الدين الزبير | د. أحمد محمد رشاد

بإشراف

د. أحمد بن عبدالله الفريح

عضو مجلس إدارة

مؤسسة فرحان ابن المبارك القحطاني

لخدمة المجتمع

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

ح معالـم الهـدى للنشـر والتوزيـع؛ ١٤٣٨ هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عابدين، طه

التزكية بالقرآن الكريم: مفهوم ، وأهميتها، وأركانها. / طه عابدين؛ ياسين قاري؛ أحمد محمد رشاد.- الرياض، ١٤٣٨ هـ.

٩٦ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٧ـ٣ـ٩٠٨١٩ـ٦٠٣ـ٩٧٨

١ـ القرآن ـ مباحث عامة ٢ـ التزكية أ. قاري، ياسين (مؤلف مشارك) ب. رشاد، أحمد محمد (مؤلف مشارك) ج. العنوان

ديوي ٢٢٩ ١٤٣٨/٥٢١

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٥٢١
ردمك: ٧ـ٣ـ٩٠٨١٩ـ٦٠٣ـ٩٧٨



المملكة العربية السعودية : ص.ب ٢٩٥٣٤٢، الرياض: ٧٥

هاتف : ٢٢ ٩٤ ٤١٠ ١١ ٩٦٦ + فاكس : ٩٥ ٨٨ ٤٨٥ ١١ ٩٦٦ +

E.mail: hooda.com@gmail.com

الطبعة الأولى: ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٧م



فضيلة الدكتور أحمد الفريح   وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته   وبعد :

فقد اطلعت على الدراسة القيمة التي أعدها الفريق العلمي في مركز مكنون بعنوان "التزكية بالقرآن الكريم : مفهومها، وأهميتها، وأركانها" وقد لمستُ الجهد العلمي المبذول في البحث، وظهرت في البحث إيجابيات العمل العلمي الجماعي في نضج النتائج، وتمحيص المعلومات، والتتبع الدقيق للمعاني في كتب اللغة والتفسير وغيرها.

ولم تستوقفني أي ملحوظات علمية يمكن تسجيلها، وإنما أحب التأكيد على الثمار العملية لهذا المشروع العلمي، وضرورة ابتكار طرق لنشر مفاهيم التزكية بالقرآن في المحاضن التربوية التي أشار إليها البحث ، وترسيخ ذلك في ميدان التعليم القرآني.

أسأل الله لكم المزيد من التوفيق والنجاح في خدمة القرآن الكريم ومشروعاته،،

المشرف على الكرسي

أ.د. عبدالرحمن بن معاضة الشهري

١٤٣٧/٧/١٢هـ

جامعة الملك سعود - كلية التربية
قسم الثقافة الإسلامية
هاتف : ٠٠٩٦٦١٤٦٧٤٧٤٤
فاكس : ٠٠٩٦٦١٤٦٧٤٧٤٥
ص. ب : ٢٤٥٨ الرياض ١١٤٥١
quranchair@ksu.edu.sa
c.ksu.edu.sa/quranchair

د. محمد بن عبدالله الربيعة
المشرف العام على مركز النبأ العظيم بمكة
الأستاذ المشارك بجامعة القصيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم : ١٥ /٨/ ج
التاريخ : ١٥ /١٤٣٧/٨هـ
الموضوع: تحكيم

فضيلة الأستاذ الدكتورأحمد بن عبدالله الفريح

مدير عام مركز مكنون   حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته   وبعد /

فقد اطلعت على كتابكم المبارك (التزكية بالقرآن ، مفهومها وأهميتها وأركانها) من إعداد الفريق العلمي بالمركز . ويعتبر هذا الكتاب أساساً ومنطلقاً لمشروع قرآني يهدف إلى تزكية الأمة بالقرآن .

وقد رأيت في هذا الكتاب تأصيلاً محكماً ، واختصاراً جامعاً ، ومادة موثقة من مصادرها مع تنوع المراجع التي زادت عن المائة والثلاثين ، مع ماتميز به الكتاب من الخلوص لنتائج وتوصيات مهمة تترجم هذا الكتاب المهم إلى برامج عملية ، وهي :

١- نشر ثقافة التزكية بالقرآن ، وخاصة في المحاضن القرآنية.

٢- عمل المناهج العلمية لجميع الفئات العمرية في التزكية القرآنية.

٣- إقامة الملتقيات العلمية ، والدراسات البحثية المثرية للموضوع .

ويعتبر هذا الكتاب بما يحمله من هدف سام حاجة ملحة في هذا العصر الذي بعدت فيه الأمة عن التزكية بكتاب الله ، بما غشاها من أفكار وأهواء ومناهج مختلفة تحتاج إلى تصفية وتمحيص لتنشأ أجيال الأمة على القرآن تزكية وتخلقاً.

شكر الله لكم هذا الجهد المبارك . وأعانكم وسددكم .
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. محمد بن عبد الله الربيعة
الأستاذ المشارك في قسم القرآن وعلومه
بكلية الشريعة في جامعة القصيم

المقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونستهديه، ونعوذُ باللهِ مِن شرورِ أنفسِنا، وسيئاتِ أعمالِنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومَن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عبدُه ورسولُه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]. أمَّا بعدُ:-

فالقرآنُ الكريمُ هو كتابُ اللهِ الخالد، وحجتُه البالغةُ على الناسِ جميعاً، ختمَ اللهُ به الكتبَ السماويةَ، وأنزله تزكيةً وهدايةً للعالمينَ على قلبِ مزكِّي البشريةِ: ﴿رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥١]، وضمَّنَه -بفضلِه ورحمتِه- منهاجاً كاملاً وشريعةً خالدةً: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ﴾ [النور: ٢١]، فبتعاليمِه تزكو النفوسُ وتنمو، وبهداياتِه ترتقي الأرواحُ وتسمو: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦ﴾ [فاطر: ١٨].

ولا شكَّ أنَّ مقصدَ القرآنِ الكريمِ هو إصلاحُ الفردِ والمجتمعِ، مِن خلالِ تزكيةِ نفوسِهم، وتطهيرِ أرواحِهم، وتهذيبِ أخلاقِهم، والارتقاءِ بمجتمعاتِهم في جميعِ المجالاتِ لما فيه سعادتُهم وفلاحُهم في دينِهم ودنياهم وآخرتِهم، وعند التدبرِ والتأملِ في آياتِه نجدُ هذا المقصدَ قد تركّزَ على مفهومٍ عامٍّ وشاملٍ وهو: التزكية؛ ولهذا كانت تلك من مهامِّ الأنبياءِ، ومقاصدِ الرسالاتِ السماويةِ، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة: ٢].

وبالتأملِ في حالِ مجتمعاتِنا الإسلاميةِ في عصرِنا الحاضرِ، يظهر لنا وجودُ حالةٍ من التخلفِ لدينا في جميعِ مجالاتِ الحياةِ الأخلاقيةِ والاجتماعيةِ والثقافيةِ وغيرِها؛ نتيجةَ بُعدِ

الأمةِ الإسلاميةِ عن تعاليمِ القرآنِ الكريمِ وهداياتِه، والعملِ والتزكي به، ولعلاجِ هذه المشكلةِ فإنَّ الأمةَ الإسلاميةَ في عصرِنا الحاضرِ بحاجةٍ ماسةٍ إلى العودةِ إلى كتابِ ربِّها والعملِ بهداياتِه، وتزكيةِ الفردِ والمجتمعِ بتعاليمِه.

ولهذا رأت إدارةُ مشروعِ "مكنون" ضرورةَ القيامِ بطرحِ مشروعٍ تزكويٍّ قرآنيٍّ من مهبطِ الوحيِ والرسالةِ، ينهضُ بالجيلِ المسلمِ؛ ليتحوّلَ من جيلٍ يقرأُ القرآنَ ويُقرِئُه فقطْ إلى جيلٍ يتزكَّى بالقرآنِ ويزكِّي بالقرآن أيضاً.

ويمكننا تلخيص فكرة المشروع في النقاط التالية:

١- إحياء أبرز مهام الأنبياء والرسل ووظائفهم: وهو تزكية الأمم، والسمو بأرواحهم، وتهذيب أخلاقهم، والارتقاء بهم في جميع مجالاتهم الدينية والدنيوية والأخروية.

٢- ردّ الأمة الإسلامية والعودة بها إلى منبعها الأصيل في التزكية وهو القرآن الكريم.

٣- السعي لتطبيق التزكية بالقرآن في كافة الجوانب والمجالات في المجتمعات الإسلامية.

٤- النهوض بالمجتمعات الإسلامية وتنميتها من خلال تزكِّيها بتعاليم كتاب ربها، من أجل إعادة عزتها ورفعتها ومجدها التليد من بين الأمم.

أولاً: أهمية الموضوع، وأسباب الكتابة فيه:

١- إثراء مكتبة التفسير وعلوم القرآن بدراسة مصطلح قرآني لم يحظَ بالنصيب الوافر في الدراسات القرآنية، ولا يزال بحاجة إلى دراسات علمية تُحرِّره وتُؤصِّله.

٢- خدمة المقصد الرئيس من مقاصد القرآن، وهو التزكي والعمل به والاهتداء بهديه.

٣- إبراز قيمة التزكي بالقرآن الكريم، ودوره في صلاح الأمة ورُقيّها وتنميتها في كافة جوانب الحياة.

٤- ضرورة إظهار عظمة القرآن الكريم وشمول تعاليمه من خلال اعتنائه بتزكية الفرد والمجتمع، والارتقاء بهم في جميع المجالات الدينية والدنيوية.

٥- معالجة ما علق بهذا المصطلح القرآني من مفاهيم مغلوطة لدى بعض الخواص فضلاً عن العوام، مما كان لها آثارها السلبية في الماضي والحاضر.

ثانياً: أهداف البحث

- بيان مفهوم التزكية بالقرآن الكريم.
- بيان أهمية التزكية بالقرآن الكريم.
- بيان أركان التزكية بالقرآن الكريم.

ثالثاً: خطة البحث

المقدمة: تشمل ما يلي:

- أهمية الموضوع، وأسباب الكتابة فيه.
- أهداف الموضوع.
- خطة البحث.

المبحث الأول: مفهوم التزكية بالقرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف التزكية لغة.

المطلب الثاني: حديث القرآن الكريم عن التزكية، وبيان معانيها.

المطلب الثالث: مفهوم التزكية بالقرآن الكريم اصطلاحاً.

المطلب الرابع: المصطلحات المقاربة للتزكية بالقرآن الكريم.

المبحث الثاني: أهمية التزكية بالقرآن الكريم

المطلب الأول: أهمية تزكية النفس.

المطلب الثاني: أهمية التزكية بالقرآن الكريم.

المبحث الثالث: أركان التزكية بالقرآن الكريم

المطلب الأول: الاستماع للقرآن الكريم وتلاوته.

المطلب الثاني: تدبُّر القرآن الكريم.

المطلب الثالث: العلم بمضامين الهدايات القرآنية.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

الفهارس العامة



المبحث الأول

مفهوم التزكية بالقرآن الكريم

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التزكية لغة.

المطلب الثاني: حديث القرآن عن التزكية وبيان معانيها.

المطلب الثالث: مفهوم التزكية بالقرآن اصطلاحا.

المطلب الرابع: المصطلحات المقاربة لمفهوم التزكية بالقرآن الكريم.

المطلب الأول

تعريف التزكية لغةً

قال ابن فارس -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «(زكى) الزايُ والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة. ويقال: الطهارة. زكاةُ المال قال بعضهم: سُمِّيت بذلك لأنها مما يُرجى به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه. وقال بعضهم: سُمِّيت زكاةً لأنها طهارة. قالوا: وحجة ذلك قوله جلَّ ثناؤه: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين، وهما: النماء والطهارة»[(١)].

قال الأزهري -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قال الليث: الزكاة: زكاة المال، وهو تطهيره، والفعل منه: زكى يزكي تزكية، والزكاة: الصلاح. يقال: رجل تقيّ زكيّ، ورجال أتقياء أزكياء، والزرع يزكو زكاءً، ممدود، وكل شيء يزداد ويسمن فهو يزكو زكاءً. وتقول: هذا الأمر لا يزكو بفلان، أي لا يليق به. قال ابن الأنباري في قوله تعالى: ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ١٣] معناه: وفعلنا ذلك رحمةً لأبوَيْه وتزكيةً له. قال بعضهم: الذين هُم للزكاة، أي العمل الصالح، فاعلون. ومنه قوله جلَّ وعزَّ: ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ﴾ [الكهف: ٨١] أي خيراً منه عملاً صالحاً. وقال الفراء: زكاة: صلاحاً. وكذلك قوله: ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ﴾ قال: صلاحاً. في قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ [النُّور: ٢١]، وقرئ: (ما زكا)، فمن قرأ: (ما زكى) فمعناه: ما صلح، ومن قرأ (ما زكا) فمعناه: ما أصلح ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النُّور: ٢١] أي: يُصلح.

وقال غيره: قيل لما يخرج من المال للمساكين من حقوقهم: زكاة لأنه تطهير للمال وتثمير وإصلاح ونماء، كل ذلك قد قيل. وقال اللحياني: زكي الرجل يزكى، وزكا يزكو زكواً، وزكاءً، وقد زكوت وزكيت أي صرت زاكياً. قال ابن الأنباري: الزكاء: الزيادة من قولك: زكا يزكو زكاءً»[(٢)].

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة زكى (٣/ ١٧-١٨).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري: (١٠/١٧٦).

وقال الراغب الأصفهاني -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «أصل الزكاة: النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية، يقال: زكا الزرع يزكو: إذا حصل منه نمو وبركة. وقوله: ﴿أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ [الكهف: ١٩]، إشارة إلى ما يكون حلالاً لا يستوخم عقباه، ومنه الزكاة: لما يخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة، أو لتزكية النفس، أي: تنميتها بالخيرات والبركات، أو لهما جميعا، فإن الخيرين موجودان فيها. **وقرن الله تعالى الزكاة بالصلاة في القرآن** بقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[البقرة: ٤٣]، وبزكاء النفس وطهارتها يستحق الإنسان في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة. وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره، وذلك ينسب تارة إلى العبد لكونه مكتسباً لذلك، نحو: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]، وتارةً ينسب إلى الله تعالى؛ لكونه فاعلاً لذلك في الحقيقة، نحو: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩]، وتارة إلى النبي لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم، نحو: ﴿تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥١]، وتارةً إلى العبادة التي هي آلة في ذلك، نحو: ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗ﴾ [مريم: ١٣]، ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ [مريم: ١٩]، أي: مزكًّى بالخلقة، وذلك على طريق ما ذكرنا من الاجتباء، وهو أن يجعل بعض عباده عالماً وطاهرَ الخلق، لا بالتعلم والممارسة بل بتوفيق إلهي، كما يكون لجل الأنبياء والرسل. ويجوز أن يكون تسميته بالمزكى لما يكون عليه في الاستقبال لا في الحال، والمعنى: سيتزكى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]، أي: يفعلون ما يفعلون من العبادة ليزكيهم الله، أو ليزكوا أنفسهم، والمعنيان واحد. وليس قوله: «للزكاة» مفعولاً لقوله: «فاعلون»، بل اللام فيه للعلة والقصد. **وتزكية الإنسان نفسه ضربان:** أحدهما: بالفعل، وهو محمود، وإليه قصد بقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]، وقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤]. والثاني: بالقول، كتزكية العدل

غيره، وذلك مذموم أن يفعل الإنسان بنفسه، وقد نهى الله تعالى عنه فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾[النجم: ٣٢]، ونهيه عن ذلك تأديب لقُبح مدح الإنسان نفسه عقلاً وشرعاً»[١].

والزاكية: هي النفس التي لم تذنب قطُّ، والزكية: هي التي أذنبت ثم غُفر لها، وقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤] أي: بالفعل، وهو محمود، وقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، بالقول، وهو مذموم، نهى عنه تأديباً لقُبح مدح الإنسان نفسَه عقلاً وشرعاً، ولهذا قيل: ما الذي لا يحسن وإن كان حقّاً؟ فقال: مدح الرجل نفسه[٢].

والزكاة كل شيء يزداد فهو يزكو زكاة، ويسمى ما يخرج من المال للمساكين بإيجاب الشرع زكاةً؛ لأنها تزيد في المال الذي تُخرَج منه وتوفره وتقيه من الآفات[٣].

وقال ابن منظور -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «وأصل الزكاة في اللغة: الطهارة، والنماء والبركة، والمدح، وكله قد استعمل في القرآن والحديث، ووزنُها فَعَلَة كالصَّدقة، فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها انقلبت ألفا، وهي من الأسماء المشتركة بين المخرج والفعل، فيطلق على العين وهي الطائفة من المال المزكَّى بها، وعلى المعنى وهي التزكية»[٤].

ومن خلال ما تقدَّم يتبين أن التزكية في اللغة تأتي بمعنى: التطهير، والصلاح، والنماء والزيادة والتثمير، والمدح والثناء، وجميع هذه المعاني ترجع -على ما ذكره ابن فارس- إلى معنيين، هما: النماء، والطهارة، وتتفرَّع منهما بقية المعاني.

---

(١) المفردات في غريب القرآن: (٣٨٠-٣٨١).

(٢) الكليات لأبي البقاء الكفوي: (٤٩٠).

(٣) الكليات لأبي البقاء الكفوي: (٤٨٦).

(٤) لسان العرب: (١٤/٣٥٨).

المطلب الثاني

حديث القرآن الكريم عن التزكية، وبيان معانيها[1]

جاءت كلمة "زكى" ومشتقاتها في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، تزيد على خمسة وخمسين موضعاً[2]، بعدة معانٍ، وإليك بيان مواضعها في الجدول التالي:

م	الآية	رقمها	السورة	مكان نزولها
١.	﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾	٤٣	البقرة	مدنية
٢.	﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٨٣	البقرة	مدنية
٣.	﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾	١١٠	البقرة	مدنية
٤.	﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ﴾	١٢٩	البقرة	مدنية
٥.	﴿رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ﴾.	١٥١	البقرة	مدنية
٦.	﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.	١٧٤	البقرة	مدنية
٧.	﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾	١٧٧	البقرة	مدنية
٨.	﴿مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُ﴾	٢٣٢	البقرة	مدنية
٩.	﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٢٧٧	البقرة	مدنية
١٠.	﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾.	٧٧	آل عمران	مدنية
١١.	﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾.	١٦٤	آل عمران	مدنية

---

(١) قبل ذكر تعريف مفهوم التزكية اصطلاحاً، كان لا بد من معرفة الآيات الواردة فيها، وكيفية حديث القرآن عنها؛ ليتجلى للقارئ المفهوم الاصطلاحي الذي اعتمدنا عليه في المطلب الآتي.

(٢) ورد مادة (زكو) في القرآن الكريم من خلال خمسة عشر مشتقاً تتوزع في (تسعة وخمسين) موضعاً، انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ص: ٣٤٤.

١٢.	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.	٤٩	النساء	مدنية
١٣.	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾.	٧٧	النساء	مدنية
١٤.	﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.	١٦٢	النساء	مدنية
١٥.	﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي﴾.	١٢	المائدة	مدنية
١٦.	﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾.	٥٥	المائدة	مدنية
١٧.	﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾.	١٥٦	الأعراف	مكية
١٨.	﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ﴾	٥	التوبة	مدنية
١٩.	﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ﴾.	١١	التوبة	مدنية
٢٠.	﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾.	١٨	التوبة	مدنية
٢١.	﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾	٧١	التوبة	مدنية
٢٢.	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾.	١٠٣	التوبة	مدنية
٢٣.	﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾.	١٩	الكهف	مكية
٢٤.	﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾.	٧٤	الكهف	مكية
٢٥.	﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾.	١٩	مريم	مكية
٢٦.	﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.	٣١	مريم	مكية
٢٧.	﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾.	٥٥	مريم	مكية
٢٨.	﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾.	٧٦	طه	مكية
٢٩.	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ﴾.	٧٣	الأنبياء	مكية
٣٠.	﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾	٤١	الحج	مدنية
٣١.	﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ﴾.	٧٨	الحج	مدنية
٣٢.	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾.	٤	المؤمنون	مكية
٣٣.	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾.	٢١	النور	مدنية

٣٤.	﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾.	٣٠	النور	مدنية
٣٥.	﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾.	٣٧	النور	مدنية
٣٦.	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.	٥٦	النور	مدنية
٣٧.	﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.	٣	النمل	مكية
٣٨.	﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾.	٣٩	الروم	مكية
٣٩.	﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.	٤	لقمان	مكية
٤٠.	﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.	٣٣	الأحزاب	مدنية
٤١.	﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾.	١٨	فاطر	مكية
٤٢.	﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾	٧	فصلت	مكية
٤٣.	﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾.	٣٢	النجم	مكية
٤٤.	﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.	١٣	المجادلة	مدنية
٤٥.	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾	٢	الجمعة	مدنية
٤٦.	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾.	٢٠	المزمل	مكية
٤٧.	﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾	١٨	النازعات	مكية
٤٨.	﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾	٣	عبس	مكية
٤٩.	﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾	٧	عبس	مكية
٥٠.	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾.	١٤	الأعلى	مكية
٥١.	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾	٩	الشمس	مكية
٥٢.	﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾	١٨	الليل	مكية
٥٣.	﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾	٥	البينة	مكية

ملاحظات حول الجدول السابق:

بعد التأمل والتدبر في الآيات الواردة في التزكية من خلال الجدول السابق يمكن تدوين عدد من الملاحظات التالية:

أولاً: أن لفظة التزكية في الآيات الكريمة وردت بصيغ واشتقاقات مختلفة، وهي: (زكى- أزكى- يتزكى- يزكي- زكاة- زكياً- زكية)، وأيضاً فإن آيات التزكية والزكاة ذُكرت في خمس وعشرين سورةً مدنيةً، وثمانٍ وعشرين سورةً مكية، وتكررت مرتين في آيتين، مكية ومدنية، كما يلاحظ أن الصيغة التي تكررت أكثر من غيرها هي: صيغة (الزكاة)، حيث وردت اثنتين وثلاثين مرة، وهي التي دار في بعض آياتها اختلاف المفسرين حول دلالتها على التزكية بمعناها العام، أو التزكية بمعناها الخاص وهي: تزكية المال.

ثانياً: وجود تنوع في مجالات التزكية المنسوبة إلى العبد، حيث شملت كافة المجالات، منها: المجال العقدي، والمجال الاجتماعي، والمجال الاقتصادي، والأخلاقي... وغيرها. والملاحظ أن آيات التزكية في السور المكية كان لها نصيب أكبر في المجال العقدي والأخلاقي، وذلك لطبيعة الدعوة في ذلك العهد، بينما نرى أن آيات التزكية في المجال الاجتماعي والتشريعي كانت من سمات العهد المدني.

ثالثاً: أن التزكية تارةً نُسبت إلى الله تعالى في الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾، وفي الآخرة، كما في قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾، وتارةً نُسبت إلى الرسول ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، وتارةً نُسبت إلى العبد كما في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾.

رابعاً: أن التزكية ذكرت في قصص الأنبياء والصالحين، ففي قصص الأنبياء نجد عطاء الله وكرمه واضحاً في تزكية أنبيائه، فيقول تعالى في قصة نبيه يحيى عليه السلام: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾، كما نجد معرفة الأنبياء والرسل بأهمية التزكية، ففي دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

﴿وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾، وفي قيام إسماعيل الطَّيْلاَ بالتزكية بين أهله، قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾، كما نجد أن دعوة موسى الطَّيْلاَ كانت قائمةً على التزكية، قال تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾، كما نجد ذلك الاهتمام واضحاً أيضا في قصة موسى والخضر عليهما السلام: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾.

وفي قصص الصالحين نجد الاهتمام بالتزكية موجوداً في قصة أصحاب الكهف عند قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، كما نجده في قصة الصحابي الأعمى عبد الله بن أم مكتوم ﷺ عندما جاء إلى النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾، وأيضاً في قصة أبي بكر الصديق ﷺ عندما أعتق بعض العبيد، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾.

خامساً: أن التزكية المتعلقة بالعبد لم تحدِّد للمتزكي عمراً أو جنساً، أو صفةً مميزةً، سوى دلالتها على رغبته واختياره الشخصي للتزكية، كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾.

سادساً: أن التزكية بمعنى المدح والثناء وردت في أربع آيات، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾، ووردت التزكية بوصفها مقصداً من مقاصد الوحي في أربع آيات أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾، ووردت في كثير من هذه الآيات بمعنى بذل المال، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

سابعاً: كما يُلاحَظ أيضاً أن التزكية جاءت في بعض الآيات مرتبطةً بالنفس، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ

نَفۡسٍ﴾. وأكثرها كانت مرتبطةً بالإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾.

وقد ذكر بعض علماء الوجوه والنظائر معانيَ عديدةً للتزكية الواردة في القرآن الكريم، فالدامغاني -رحمه الله- أوصلها إلى سبعة أوجه، وأوصلها الفيروزآبادي -رحمه الله- إلى ستَّة عشر وجهاً.

والمعاني التي ذكرها الدامغاني -رحمه الله- هي: ١- النطق بالشهادة. ٢- الزكاة بعينها. ٣- الإصلاح. ٤- صدقة الفطر. ٥- التبرئة. ٦- الحلال. ٧- الصدقة[١].

والمعاني التي ذكرها الفيروزآبادي -رحمه الله- هي: ١- الأقرب إلى المصلحة. ٢- الحلال. ٣- الحُسْن واللطافة. ٤- الصَّلاح والصّيانة. ٥- النبوّة والرسالة. ٦- الدعوة والعبادة. ٧- الاحتراز عن الفواحش. ٨- بمعنى الإقبال على الخدمة. ٩- الإيمان والمعرفة. ١٠- التوحيد والشّهادة. ١١- الثناء والمدح. ١٢- النَّقاء والطَّهارة. ١٣- التَّوْبة من دعوى الرّبُوبيّة. ١٤- أداء الزكاة الشرعية.

ولا شك أنه عند النظر إلى هذه الوجوه والمعاني المذكورة نجدها متداخلةً، بل ربما بعضها تؤدي نفس المعنى[٢]، وبعضها معانٍ محتملة لكنها بعيدة[٣]، وبعضها فيها نظر[٤]، وبعض المعاني لم يذكرها المفسرون[٥]، وبعضها الحاكم فيها هو السياق فلا يحتاج إلى ذكرٍ هنا.

ولهذا فقد اقتصرنا في هذا البحث على أهم المعاني التي تخدم مفهوم الدراسة، وهي على النحو الآتي:

---

(١) انظر: إصلاح الوجوه والنظائر: (٢١٧).

(٢) مثال ذلك: معنى الإيمان والمعرفة والتوحيد والشهادة.

(٣) مثال ذلك: معنى النطق بالشهادة، معنى الإقبال على الخدمة.

(٤) مثال ذلك: التي هي بمعنى الحُسْن واللطافة.

(٥) مثال ذلك: التي بمعنى الأقرب للمصلحة، وبمعنى النبوة والرسالة.

١- الصلاح والطهارة: تأتي التزكية بمعنى الصلاح والطهارة، قال تعالى: ﴿أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ [الكهف: ٨١] أي: صلاحاً وطهارةً ونقاءً، وقال: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: ما صلُح وما طهُر.

قال الطبري-رحمه الله-: «﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ يقول: خيراً من الغلام الذي قتله صلاحاً وديناً»[1].

وقال البغوي -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾: «معناه: ما طهُر من هذا الذنب ولا صلُح أمرُه بعد الذي فعل»[2].

وقال الزمخشري -رحمه الله-: «والزكاة: الطهارة والنقاء من الذنوب»[3].

وقال البيضاوي -رحمه الله-: «﴿زَكَوٰةً﴾ طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة»[4].

وقال ابن عاشور-رحمه الله-: «والزكاة: الطهارة، مراعاةً لقول موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾»[5].

٢- النماء والزيادة، تأتي التزكية بمعنى النماء والزيادة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ أي: نمَّاها بالعمل الصالح، وقال مكي بن أبي طالب-رحمه الله-: «أي: قد نجا وفاز من زكى نفسه فطهرها ونماها بالإيمان والعمل الصالح، والزكاة أصلها النماء والزيادة»[6].

---

(١) جامع البيان: (٨٧/١٨).

(٢) معالم التنزيل: (٣٩٥/٣).

(٣) الكشاف: (٧٤١/٢).

(٤) أنوار التنزيل: (٢٩٠/٣).

(٥) التحرير والتنوير: (١٣/١٦).

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية: (٨٢٩٦/١٢).

٣- الثناء والمدح والرفعة والبراءة، تأتي التزكية بمعنى الثناء والمدح والبراءة من الذنوب، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النسا:٤٩].

قال السمرقندي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «يقول: يبرِّئون أنفسهم من الذنوب... قال الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ﴾ أي: يُصلح، ويُبرِّئ من يشاء من الذنوب»(١).

وقال مكي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «معناه: ألم ترَ بقلبك يا محمد، إلى اليهود الذين يطهّرون أنفسهم من الذنوب ويمتدحونها»(٢).

٤- أداء الفريضة الشرعية: تأتي التزكية بمعنى أداء الزكاة الشرعية والصدقات، قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ﴿وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

قال ابن عاشور -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «لا أحسب استعمال الزكاة (زكاة المال) -بمعنى المال المبذول لوجه الله- ورد بهذا المعنى إلا في مصطلحات القرآن الكريم، ولم يرد بهذا المعنى قبل نزول القرآن الكريم»(٣).

ومن خلال الاستقراء والتتبع نجد أن كلمة "التزكية" جاءت في القرآن الكريم بمعانٍ تتوافق مع اللغة وتزيد عليها، فتتوافق معها في معاني النماء والطهارة، وأضاف القرآن على معنى التزكية في اللغة: المال المبذول لوجه الله.

---

(١) بحر العلوم: (٣٠٨/١).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية: (١٣٥٢/٢).

(٣) التحرير والتنوير: (١٢/١٨).

المطلب الثالث

مفهوم التزكية بالقرآن الكريم اصطلاحاً

تباينت آراء العلماء من السلف والخلف في تفسير مفهوم التزكية الوارد في كلام الله تعالى، وإن خير ما يفسر به كلام الله هو حديث رسول الله ﷺ، ولقد بيَّن النبي ﷺ معنى تزكية النفس في الحديث الذي رواه عبد الله بن معاوية الغافري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثٌ مَن فعلهنَّ فقد ذاق طعمَ الإيمان، مَن عبدَ اللهَ تعالى وحدَه بأنه لا إله إلا هو، وأعطى زَكاةَ مالِه طيبةً بها نفسُه في كلِّ عامٍ، ولم يُعطِ الهَرِمَة[1] ولا الدَّرِنَة[2] ولا المريضة، ولكن مِن أوسط أموالكم؛ فإن الله تعالى لم يسألكم خيرَها، ولم يأمركم بشرِّها، وزَكَّى نفسه. فقال رجل: وما تزكية النَّفْس؟ فقال: أن يعلم أن الله تعالى معه حيث كان»[3].

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- إلى هذا المعنى الذي دلَّ عليه هذا الحديث، حيث قال: «فإن التزكي هو التطهُّر والتبرُّك بترك السيئات الموجب زكاة النفس، كما قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾؛ ولهذا تفسر الزكاة تارةً بالنماء والزيادة، وتارةً بالنظافة والإماطة. والتحقيق أن الزكاة تجمع بين الأمرين: إزالة الشر، وزيادة الخير، وهذا هو العمل الصالح وهو الإحسان، وذلك لا ينفع إلا بالإخلاص لله وعبادته وحدَه لا شريك له الذي هو أصل الإيمان، وهو قول: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾»[4].

---

(١) الهرمة: هي المسنة، انظر: النهاية في غريب الحديث: (٤٣٢/٣).

(٢) الدرنة: هي الجرباء، وأصله الوسخ، انظر: النهاية في غريب الحديث: (١١٥/٢).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الصغير (٣٣٤/١)، برقم: (٥٥٥). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٣٨/٣).

(٤) مجموع الفتاوى: (١٩٨/١٦).

ولقد عرَّف المفسرون التزكية عند تفسيرهم للآيات الواردة فيها بتعريفات مختلفة، ومِن ذلك:

قال الطبري -رحمه الله-: «... معنى التزكية: التطهير، وأنَّ معنى الزكاة: النماء والزيادة. فمعنى قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾[البقرة: ١٢٩] في هذا الموضع: ويطهّرهم من الشرك بالله وعبادة الأوثان، وينمِّيهم ويكثرهم بطاعة الله»[(١)].

وقال الرازي -رحمه الله-: «واعلم أن كمال حال الإنسان في أمرين. أحدهما: أن يعرف الحق لذاته. والثاني: أن يعرف الخير لأجل العمل به، فإن أخلَّ بشيء من هذين الأمرين لم يكن طاهراً عن الرذائل والنقائص» وقال أيضاً: «بالترغيب الشديد في العمل، والترهيب عن الإخلال بالعمل وهو التزكية»[(٢)].

وقال ابن تيمية -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: «فسّروا الآية بما يعمّ زكاة المال وغيرها من الأعمال»[(٣)].

ويرى ابن القيم -رحمه الله- أن التزكية هي الإتيان بأنواع الخير، وترك أنواع الشر والخبث، حيث يقول: «فهو تعالى الذي يزكِّي مَن يشاء من النفوس، فتزكو، وتأتي بأنواع الخير والبر، ويترك تزكية مَن يشاء منها، فتأتي بأنواع الشر والخبث»[(٤)].

وقال أبو السعود-رحمه الله-: «هي عبارة عن تكميل النَّفْس بحسب القوة العملية وتهذيبها، المتفرعِ على تكميلها بحسب القوة النظرية، الحاصلِ بالتعليم المترتب على التلاوة»[(٥)].

---

(١) تفسير الطبري: (٣/٨٨).

(٢) تفسير الرازي: (٤/٥٩-٦٠).

(٣) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات: (٣٧).

(٤) مفتاح دار السعادة: (١/٢٩٠).

(٥) تفسير أبي السعود: (١/١٧٩).

وجاءت تعريفات أخرى لهذا المصطلح القرآني، إلا أنه يلاحظ عليها العموم والشمول، ومن ذلك:

- تعريف الكفوي، حيث قال -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «والتزكية: إكساب الزكاة، وهي نماء النفس بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم، وأصل التزكية: نفي ما يستقبح قولاً أو فعلاً، وحقيقتها: الإخبار عما ينطوي عليه الإنسان(١).

- تعريف أبي الحسن الندوي، حيث يقول -رَحِمَهُ اللَّهُ- إنها: «العلم الذي يتكفل بتزكية النفس وتهذيبها، وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل النفسية والخلقية، والدعوة إلى كمال الإيمان والحصول على درجة الإحسان، والتخلق بأخلاق النبوة، واتباع الرسول ﷺ في صفاته الباطنة، وكيفياته الإيمانية»(٢).

- تعريف سعيد حوى، حيث يقول -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «فزكاة النَّفْس تطهيرها من أمراض وآفات، وتحققها بمقامات، وتخلّقها بأسماء وصفات، فالتزكية في النهاية تطهر وتحقق وتخلق»(٣). ويقول أيضا: «التزكية تطبيقٌ لهذا العلم على النفس البشرية وأمراضها وأغراضها، ومعرفةُ التطبيب وطرقه، ومعرفةٌ بالكمال، وكيفية النقل إليه، وأدوات ذلك فراسة خاصة بكل نفس لنقلها من حال إلى حال»(٤).

- تعريف أنس كرزون، حيث يقول: «تزكية النفس تعني: تطهيرها من نزعات الشر والإثم، وتنمية فطرة الخير فيها؛ مما يؤدي إلى استقامتها وبلوغها درجة الإحسان»(٥).

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف: (٩٦).

(٢) أبو الحسن علي الندوي، ربانية لا رهبانية، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: (١٠).

(٣) سعيد حوى، المستخلص في تزكية الأنفس، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: (٣).

(٤) سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م: (١)، ص٣٢٢-٣٢٣.

(٥) منهج الإسلام في تزكية النفس، للباحث: أنس كرزون، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين.

- وقيل في تعريفها: «أعمالٌ ووظائفُ ومجاهدات في الظاهر والباطن تورث -بإذن الله- معارفَ وأنواراً وأحوالاً في قلب السالك»(١).

- وقيل أيضاً: «عملية تطهير وتنمية شاملَيْن، هدفها استبعادُ العناصر الموهنة لإنسانية الإنسان وما ينتج عن هذا الوهن من فساد وتخلُّف وخُسران، وتنميةٌ كاملةٌ للعناصر المحققة لإنسانية الإنسان وما ينتج عن هذه التنمية من صلاحٍ وتقدُّم وفلاح في حياة الأفراد والجماعات»(٢).

- وقيل: «مداومة الإنسان الراغب في الخير على تعهُّد نفسه بالترقية، وتنزيهها، وتنقيتها من المعاصي والرذائل والعيوب، ومجاهدتها، وحملها على طاعة الله ﷻ، واكتساب العلم النافع، والعمل الصالح، والتحلي بجميع الأخلاق والأفعال والأقوال، وإرادة الخير للنفس ولمن معها في وجودها»(٣).

من خلال التعاريف السابقة يمكن ملاحظة ما يأتي:

- وجود توافق كبير بين تلك التعاريف في أن التزكية هي أعمال متنوعة وشاملة، صادرة من الإنسان برغبة واختيار من عنده.

- وقوع توافق كبير كذلك في أن هدف التزكية هو الإصلاح والطهارة بزيادة الخير وإزالة الشر.

- أنها لم تتفق على مصدر تلك التزكية، فجاءت التعاريف بعموميات غير منضبطة.

ولهذا فإنه يمكننا استخلاص تعريف خاص لمفهوم (التزكية بالقرآن)، بأنها:

(١) العلم المرفوع (التزكية والسلوك)، لعبد الفتاح اليافعي: (٦).

(٢) انظر: مناهج التربية الإسلامية والمربّون العاملون فيها، لماجد عرسان الكيلاني: (ص: ١٢٧).

(٣) انظر: صلاحية مصطلح التزكية الإنسانية كبديل لمصطلحَيِ التربية المستمرة، والتربية الذاتية، للباحثة: سمر العريفي، بحث منشور على الإنترنت: (ص: ٧).

العمل بالهدايات القرآنية[1] المُوصِّلة إلى درجة الإحسان

فقولنا: "**العمل**" يشمل القول والفعل، كما يشمل القليل والكثير، والمستمر والمنقطع.

وقولنا: "**بالهدايات القرآنية**" يشمل جميع الإرشادات الواردة في القرآن الكريم التي توصل إلى كل خير وصلاح، وتمنع من كل شر وفساد، سواء أكانت هداياتٍ منطوقةً أم مفهومةً، وسواء أكانت من خلال آيات القرآن الكريم أو سُوَره أو موضوعاته.

وقولنا: "**الموصلة إلى درجة الإحسان**" بيَّنه النبي ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه»، وإنما قيدنا العمل بالهدايات بهذا القيد لتفسير النبي ﷺ لها كما تقدم بيانه، ولأن الاستمرار بالعمل بالهدايات القرآنية يُوصّل العبد إلى تلك الدرجة.

من خلال هذا التعريف الشامل الذي اخترناه -بتوفيق الله تعالى- نستطيع أن نقول: إن كل الأقوال الواردة في تعريف التزكية لغةً واصطلاحاً داخلة في هذا التعريف، فالعمل بالهدايات القرآنية أصل كل تزكية ذُكرت قديماً أو حديثاً، فهي طهارة للنفوس من الشرك والكفر والضلالة والمعاصي والذنوب، كما أنها نماء وبركة لمن عمل بتلك الهدايات -نماء وبركة في عقله، وروحه، وجسده، وماله، وكل ما يتعلق به-، ورفعةٌ وارتقاءٌ لسُلّم الوصول إلى المولى الكريم سبحانه وتعالى.

وخلاصة القول: إن العمل بالهدايات القرآنية غذاء ونماء للأرواح والأجساد، وزيادة في الخير والصلاح، وإزالة للشر والفساد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «والتحقيق أن الزكاة تجمع بين الأمرين: إزالة الشر، وزيادة الخير، وهذا هو العمل الصالح، وهو الإحسان»[2].

(١) عرَّف الفريق البحثي في مشروع الهدايات القرآنية -دراسة تأصيلية (ص: ٣٣)، الهدايات القرآنية بأنها: الدلالة المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل إلى كل خير، وتمنع من كل شر.

(٢) مجموع الفتاوى: (١٦/١٩٨).

المطلب الرابع

المصطلحات المقاربة لمفهوم التزكية بالقرآن الكريم

استعمل العلماء المعاصرون في مقابل مفهوم التزكية بالقرآن مصطلحاتٍ أخرى، من أهمها مصطلح: التربية، ولكي نستطيع تجلية مفهوم التزكية بالقرآن لا بد من التمييز بينه وبين مفهوم التربية الإسلامية، والتربية بالقرآن؛ ولهذا فإننا سوف نبدأ بتعريف التربية لغةً واصطلاحاً، ثم نعقب ذلك ببيان مفهوم التربية الإسلامية والتربية بالقرآن، ثم نوضح ما بينهما من علاقات وفروق:

أولاً: تعريف التربية لغة واصطلاحاً

أ) تعريف التربية لغةً:

من خلال النظر والرجوع إلى المعاجم اللغوية نجد أن لكلمة التربية أصولاً لغويةً ثلاثةً[١]:

الأصل الأول: رَبَا، يَرْبُو، رُبُوّاً، ورِبَاءً :أي نَمَا وزادَ، وأَرْبَيْته: نمّيْته[٢]، وفي التنزيل: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٢٩]. أي: فلا يزداد[٣]، وقول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦]. أي: يُنمّيها في الدنيا ويضاعف أجرها في الآخرة[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]. أي: ارتفعت وانتفخت[٥].

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب: (١٤/٣٠٥). وانظر، الفارابي، الصحاح تاج اللغة العربية وصحاح العربية: (٦/٢٣٥٠). وانظر، عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (٢/٨٥٢).

(٢) لسان العرب: (١٤/٣٠٥).

(٣) تفسير الطبري: (٢١/٤٥).

(٤) تفسير القرطبي: (٣/٣٦٢)

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: (٣/٢٠٩).

الأصل الثاني: رَبِيَ يَربَى على وزن خَفِيَ يَخْفَى، بمعنى نشأ وترعرع، فهي بمعنى التنشئة والرعاية[1]، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

الأصل الثالث: ربَّ يربُّ بوزن مدَّ يمدُّ، بمعنى: رباه و أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه، ومنه قيل للحاضنة: رَابَّةٌ ورَبِيْبَةٌ؛ لأنها تصلح الشيء وتقوم به، وربَبْت الأمر أرُبُّه رَبّاً: أي أصلحته ومتّنته وأجدته، وطيّبته[2]، وفي الحديث النبويّ الشريف: «هل لكَ عليه مِن نعمةٍ تربُّها؟»[3]. أي: تقوم بأسباب دوامها وإصلاحها[4].

ب) التربية اصطلاحاً:

مفهوم التربية اصطلاحاً له علاقة وثيقة بالمفهوم اللغوي، ومِن آراء العلماء الأقدمين في مفهوم التربية قول الراغب الأصفهاني بأنها: «إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام»[5].

وقول البيضاويّ: «الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية، وهي: تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً»[6].

وقد اختلفت الآراء التربوية الحديثة في تحديد مفهوم التربية بحسب اختلاف تخصصاتهم، واتجاهاتهم الفكرية والتربوية، واختلاف نظراتهم إلى أهداف التربية وأغراضها؛ ولهذا وردت تعريفات كثيرة للتربية من قِبل فلاسفة وعلماء اجتماع وسياسيين ونفسانيين،

---

(١) انظر: لسان العرب: (٣٠٧/١٤)، القاموس المحيط للفيروز آبادي: (١٦٥٩).

(٢) انظر: كتاب العين للخليل الفراهيدي: (٢٥٧/٨)، ولسان العرب: (٤٠١/١).

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الحب في الله، برقم: (٢٥٦٧).

(٤) انظر: غريب الحديث لابن الجوزي: (٣٧١/١)، وشرح صحيح مسلم للنووي: (١٢٤/١٦).

(٥) المفردات في غريب القرآن: (٣٣٦).

(٦) تفسير البيضاوي: (٢٨/١).

ولكن يلاحظ على تعريفاتهم النظرة الجزئية والقاصرة على معظم تلك المعاني، ومن أجل وضع تعريف شامل للتربية قيل:

- هي: كل عملية تساعد عقل الفرد وخلقه وجسمه، باستثناء ما قد يتدخل في هذا التشكيل من عمليات وراثية(١).

- هي: النظام الاجتماعي الذي يعمل على تنمية النشء من النواحي الجسمية والعقلية والأخلاقية؛ حتى يمكنه أن يحيا حياةً سويةً في البيئة التي يعيش فيها(٢).

- هي: عملية يُقصد بها تنمية وتطوير قدرات ومهارات الأفراد من أجل مواجهة متطلبات الحياة بأوجهها المختلفة؛ لبناء شخصية الأفراد بناءً شاملاً كي يستطيعوا التعامل مع كل ما يحيط بهم، أو التأقلم والتكيف مع البيئة التي يعيشون بها، وتكون التربية للفرد والمجتمع(٣)، وعرفها علماء التربية الحديثة بأنها تغيير في السلوك(٤).

والذي يظهر أنه لا تعارُضَ بين تعريف الأقدمين والمحدثين لمفهوم التربية؛ إذ الكل يحاول أن يصل بالمربَّى إلى حد التمام والكمال من جانب أو أكثر.

وقد أشار إلى هذا المصطلح بعضٌ من كتب في المجالات التربوية والسلوكية بألفاظٍ أو مصطلحاتٍ أخرى قد تؤدي المعنى المقصود، أو تكون قريبةً منه(٥)، ومنها ما يلي:

١- التنشئة: ويُقصد بها تربية ورعاية الإنسان منذ الصغر، وممن استخدمه ابن خلدون(٦).

(١) المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، لطه جابر العلواني: (٣/٨٨٦).

(٢) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لأحمد زكي بدوي: (ص: ١٢٧).

(١) التربية وبناء الأجيال في الإسلام، لأنوار الجندي: (ص: ١٥٣).

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، لعبد الرحمن النحلاوي: (ص: ١٩).

(٥) التربية الإسلامية، أصولها وتطوُّرها في البلاد العربية، لمحمد منير مرسي: (ص: ٤٨).

(٦) مقدمة ابن خلدون، لابن خلدون (ص: ٢٣٥).

٢- الإصلاح: ويعني التغيير إلى الأفضل، وهو ضد الإفساد، ويُقصد به العناية بالشيء والقيام عليه وإصلاح اعوجاجه[(١)].

٣- التأديب أو الأدب: ويُقصد به التحلِّي بالمحامد من الصفات والطباع والأخلاق، والابتعاد عن القبائح، ويتضمن التأديب معنى الإصلاح والنماء، وهو وثيق الصلة بمصطلح التربية حيث يمكن أن تُشتق منه تسميةُ المعارف آداباً وتسمية التعليم تأديباً، وتسميةُ المربي أو المعلم مؤدباً[(٢)].

ثالثا: مفهوم التربية الإسلامية:

توجد تعاريف كثيرة لمفهوم التربية الإسلامية، ومن أهمها:

- هي: تكوين "الإنسان الصالح" في "المجتمع الصالح" والعناية بالفرد من مهده إلى لحده بتوازن بين قُواه ونزعاته المختلفة، وبين دنياه وأخراه، وبين جميع جوانبه الروحية والخلقية والعقلية والنفسيّة والاجتماعية والإبداعية والمادية وفقَ المعتقدات والقيم التي تتّفق مع روح الإسلام، وفي ضوء طرق وأساليب التربية التي بيَّنَها[(٣)].

- هي: تزكية الإنسان وتهذيبه وإصلاحه وتنميته روحاً وعقلاً وجسداً وخلقاً وسلوكاً، لإقداره على كسب حياته الدنيا في مستوى يليق بكرامة الإنسان التي كرَّمه الله بها، وكسب حياته الأخرى في مستوى يرضى عنه ربّه وخالقه[(٤)].

- هي: تنشئة المجتمع على الإسلام بتصوّراته وقِيَمه في مختلف مناشط الحياة[(٥)].

- هي: مجموعة من الأصول الخاصة ببناء الإنسان المسلم والواردة في الكتاب والسنة والآراء والتطبيقات التربوية التي ترعاها الجهود الفردية والجماعية في أي زمان ومكان،

---

(١) المشكلات التربوية الأسرية وأساليبها العلاجية، لخالد حامد الحازمي: (ص: ٢٣).

(٢) تاريخ التربية الإسلامية، لأحمد شلبي: (ص: ٥٨).

(٣) مدارس التربية الإسلامية، لحسان محمَّد، ونادية جمال الدين: (١٤).

(٤) انظر: فقه الدعوة إلى الله، لعلي عبد الحليم: (٤٢٨/١).

(٥) انظر: التربية القرآنية في سورة النور، لأنور أحمد أعمير: (٢١).

بهدف بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة النمو في جميع مراحل حياتها التي تعمل لخير دنياها وآخرتها[1].

- واختصر بعضهم ذلك بقوله: إيصال الإنسان إلى درجة الكمال التي هيّأه الله لها ليقوم بدوره في الخلافة في الأرض[2]، ويُقصد بالكمال هنا كمال الجسد والعقل والخلق[3].

رابعاً: مفهوم التربية بالقرآن أو (التربية القرآنية):

توجد أيضاً تعاريف مختلفة لمفهوم التربية بالقرآن (التربية القرآنية)، ومن ذلك أنها:

- هي: التربية الشاملة القائمة في كل جانب منها على القرآن الكريم والمنبثقة من تعاليمه ومفاهيمه[4].

- هي: المنهج القرآني الذي أودعه الله ﷻ في كتابه الكريم لصياغة الإنسان وتوجيهه ورعاية جوانب نموه المختلفة بما ينسجم مع فطرته وضمان سعادته في الدنيا والآخرة[5].

- هي: تربية الشباب على أخلاق أهل القرآن، وتدريبهم على السلوكيات الإسلامية؛ حتى يصيروا يمثلون الإسلام في كل حركاتهم وسكناتهم[6].

- هي: تغيير وتعديل وتنمية في السلوك وفق المنهج القرآني[7].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، لسعيد إسماعيل علي: (ص: ٢٧).

(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية في التصور الإسلامي، لعلي أحمد مدكور: (ص: ٢٦٧).

(٣) المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية لطه جابر العلواني: (٨٨٧/٣)، وانظر: التربية القرآنية في سورة النور، لأنور أحمد اعمير: (٢٢).

(٤) المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، لطه جابر العلواني: (٧٨٤/٣).

(٥) انظر: التربية القرآنية في سورة النور، لأنور أحمد اعمير: (٢٣).

(٦) منهج القرآن في التربية، لمحمد شديد: (ص: ٣٩).

(٧) التربية القرآنية منهج تأصيلي (المفهوم – والأسس– والضوابط نموذجاً)، لأحمد صالح بني سلامة، بحث منشور في ملتقى التربية بالقرآن، بجامعة أم القرى: (ص: ١٩).

- هي: عملية توجيه الفرد وجهةً تتحقق بها مشاركته على النحو الذي وضعه القرآن الكريم في جميع جوانب حياة الإنسان الروحية الإيمانية (عقدية) والتعبدية والفكرية (عقلية) والأخلاقية والنفسية والاجتماعية[1].

خامساً: العلاقة بين مفهوم: التزكية بالقرآن، التربية الإسلامية، التربية بالقرآن، والفرق بينها:

- مفهومَا التربية الإسلامية والتربية بالقرآن على الرغم من ارتكازهما على القرآن إلا أنهما كثرت فيهما الاجتهادات الفردية لكونهما مستمدَّيْن من المناهج البشرية التي تختلف بحسب اختلاف ثقافات البشر، كما أنهما مُزِجا ببعض الآراء الفلسفية والعقلية، بخلاف مفهوم التزكية بالقرآن الذي هو العمل بهدايات القرآن الكريم.

- مفهوم التزكية بالقرآن أعم من مفهوم التربية بالقرآن، وبينهما عموم وخصوص؛ ولهذا فكل تزكية تربية، وليس كل تربية تزكية؛ وذلك لأن التزكية بالقرآن تنظر إلى العلاقة بين القلب والجسد، وبين الفعل وصاحب الفعل، وهكذا، فمثلاً: عندما يقوم المربي بعمل تربوي نابع من تعاليم القرآن إن لم يكن هذا العمل خالصاً لوجه الله تعالى فهو غير تزكوي.

- مصطلح التزكية هو الأليق في الدراسات القرآنية؛ لكثرة وروده، وامتيازه عن غيره من المصطلحات الحديثة.

- مفهوم التربية بالقرآن على الرغم من منطلقه القرآني إلا أنه قاصر على تغيير وتعديل سلوك الفرد بالقرآن الكريم، بخلاف مفهوم التزكية بالقرآن الذي هو العمل بهدايات القرآن الكريم بجميع مجالاتها المختلفة والمتنوعة: كالأخلاقي والسلوكي، والعبادات، والمعاملات... وغيرها.

---

(١) التربية بالقرآن (المفهوم والأسس والضوابط) لعلي بن عبده أبو حميدي، بحث منشور في ملتقى التربية بالقرآن بجامعة أم القرى: (ص: ٧٠).

- مفهوم التزكية بالقرآن فكرةً ومنهجاً ينطلق من صلاحية الهدايات القرآنية لفئات البشر كافةً، بينما نجد مفهوم التربية الإسلامية قائماً على المنهج البشري، ثم الاستدلال عليه بالقرآن والسنة، وقد نجد بعض الدراسات خاليةً حتى من الاستشهاد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

- مفهوم التربية ارتبط في أذهان الناس بالجبر والضرب والإكراه، بينما مفهوم التزكية موكل إلى رغبة الشخص واختياره في عمل التزكية دون إكراه أو جبر أو ضرب.

- مفهوم التزكية بالقرآن ألصق بالدراسات القرآنية منها بالدراسات التربوية، ولأن تناول الدراسات القرآنية يحتاج إلى متخصصين في تفسير القرآن الكريم وعلومه، وهذا ما لا يلزم في الدراسات التربوية.

- في مفهوم التربية توجد عدة عوامل خارجية تؤثر في تربية المتربي، بينما في مفهوم التزكية بالقرآن يوجد عامل خارجي واحد وهو القرآن الكريم بهداياته وإرشاداته وأحكامه.

- في مفهوم التربية نجد خلطاً واضحاً بينه وبين التعليم بأنواعه وتفريعاته، بينما لا نجد هذا الخلط في مفهوم التزكية بالقرآن؛ ولهذا فإن مفهوم التزكية بالقرآن قائم على ثلاثة أركان، -سوف يأتي الحديث عنها-، وهي: الاستماع للقرآن الكريم وتلاوته، وتدبُّر آياته، والعلم بمضامين هداياته. ومن بعد هذه الأركان الثلاثة يأتي دور التزكية بالقرآن وهو العمل بهداياته.

- في مفهوم التربية يكون التركيز على جانب التعديل والتغيير في السلوك، بينما ما وراء ذلك غير مركَّز عليه، بخلاف مفهوم التزكية بالقرآن فهو مركّز على العمل بالهدايات القرآنية التي من شأنها التعديل والتغيير وإيصال الإنسان المتزكي إلى درجة الكمال، وهي مرتبة الإحسان.



المبحث الثاني

أهمية التزكية بالقرآن الكريم

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أهمية تزكية النفس.

المطلب الثاني: أهمية التزكية بالقرآن الكريم.

المطلب الأول

أهمية تزكية النفس

إن التزكيةَ شأنها عظيم؛ وأمرها جسيم، ولها أهمية كبرى في حياة الإنسان؛ إذ لا تستقيم حياة بدونها، ولا يمكن تكوين الأفراد والمجتمعات الصالحة إلا من خلالها، وقد جاء الإسلام فأَوْلى اهتماماً خاصاً بالتزكية، وجعل المسلم في تزكية دائمة ومستمرة لحياته الخاصة والعامة، فشغلت التزكية حيزاً كبيراً من تعاليم ديننا الإسلامي المتعلق بالفرد والمجتمع.

والنصوص الشرعية من الكتاب والسنة أوضحت أهمية التزكية للإنسان، ويمكن تناولها في النقاط التالية:

أولاً: أن التزكية هي محورُ وهدفُ بعثةِ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فقد قال تعالى مخبراً عن مهمة نبيه إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾، وعندما أمر الله نبيه موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون أمره أن يقول له: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾. كما أخبر أن هدف بعثة مُحَّد ﷺ هو تزكية أمته، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾، كما امتنَّ على المؤمنين بأن الرسول المبعوث إليهم هو من يقوم بتزكيتهم، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

ومما يؤكد هذا الأمر أيضاً ورودها في دعاء النبيَّيْن الكريمَيْن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، حيث قالا: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «فإن تزكية النفوس مُسلّم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولّاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوةً، وتعليماً وبياناً، وإرشاداً، لا خلقاً ولا

إلهاماً. فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم...» ثم قال: «وتزكية النفوس أصعبُ من علاج الأبدان وأشدّ، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة التي لم يجئ بها الرسل فهو كالمريض الذي عالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب؟ فالرسل أطباء القلوب؛ فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم، وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد والتسليم لهم»[(١)].

ثانياً: مما يدل على أهمية التزكية اختصاص الله تعالى في منحها لمن يشاء من عباده، فهي هِبةٌ وتوفيقٌ منه ﷻ، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «فإن العبد إذا زكّى نفسه أو دساها فإنما يزكيها بعد تزكية الله لها بتوفيقه وإعانته، وإنما يدسيها بعد تدسية الله لها بخذلانه والتخلية بينه وبين نفسه»[(٢)].

وقال أيضا -رحمه الله-: «العبد يعرف حقيقة نفسه وأنها الظالمة، وأنَّ ما صدَرَ منها من شر فقد صدر من أهله ومعدنه؛ إذ الجهل والظلم منبع الشر كله، وأنَّ كل ما فيها من خيرٍ وعِلمٍ وهدًى وإنابةٍ وتقوى فهو من ربها تعالى، هو الذي زكَّاها به وأعطاها إياه، لا منها، فإذا لم يشأ تزكية العبد، تركَهُ مع دواعي ظلمه وجهله، فهو تعالى الذي يزكى من يشاء من النفوس، فتزكو وتأتي بأنواع الخير والبر، ويترك تزكية مَن يشاء منها فتأتي بأنواع الشر والخبث، وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللهمَّ آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها»[(٣)].

وقال الشنقيطي-رحمه الله-: «الذي يظهر -والله تعالى أعلم-: ... أن ما يتزكى به العبد من إيمان وعمل في طاعة وترك لمعصية فإنه بفضل من الله، كما في قوله تعالى المصرّح

(١) انظر: مدارج السالكين: (٢/٣٠٠).

(٢) التبيان في أقسام القرآن: (١/٢٥).

(٣) مفتاح دار السعادة: (١/٢٩٠). والحديث رواه مسلم، كتاب العلم، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم: (٢٧٢٢).

بذلك: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]. وكل النصوص التي فيها عَوْد الضمير، أو إسناد التزكية إلى العبد، فإنها بفضل من الله ورحمته، كما تفضَّل عليه بالهدى والتوفيق للإيمان، فهو الذي يتفضَّل عليه بالتوفيق إلى العمل الصالح، وترك المعاصي»[١].

- أن التزكية أعلى مراتب الدين -مرتبة الإحسان-؛ فهي بعد مرتبتَي الإسلام والإيمان، ولهذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «ثلاثٌ مَن فعلهنَّ فقد ذاق طعمَ الإيمان :مَنْ عبدَ الله ﷻ وحدَه وأنه لا إله إلا هو، وأعطى زكاة مالهِ طيبةً بها نفسُه، رافدةً عليه في كُلِّ عامٍ» ... وزكَّى نفسَه. فقال رجلٌ: وما تزكية النفس؟ فقال ﷺ: «أن يعلم أن الله ﷻ معه حيث كان»[٢]. وهي بهذا المعنى الوارد في الحديث أعلى مراتب الدين، وهو الإحسان، الذي قال عنه النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور: «أنْ تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «والتحقيق أن الزكاة تجمع بين الأمرين: إزالة الشر، وزيادة الخير؛ وهذا هو العمل الصالح، وهو الإحسان»[٤].

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «وهذه الأمور الثلاثة -وهي: صون النفس، وتوفير الحسنات، وصيانة الإيمان- صاحبها أرفعُ همةً؛ لأنه عاملٌ على تزكية نفسه وصونها، وتأهيلها للوصول إلى ربها، فهو يصونها عما يشينها عنده، ويحجبها عنه، ويصون حسناته عما يسقطها ويضعها؛ لأنه يسير بها إلى ربه، ويطلب بها رضاه، ويصون إيمانه بربه من

---

(١) أضواء البيان: (٥٤٢/٨).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الصغير (٣٣٤/١)، برقم: (٥٥٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٣٨/٣).

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبيَّ ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، برقم: (٤٩)، ورواه مسلم عن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما، في كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامة الساعة، برقم: (٨) و(٩) و(١٠).

(٤) مجموع الفتاوى: (١٩٨/١٦).

حبه له، وتوحيده، ومعرفته به، ومراقبته إياه عما يطفئ نوره، ويُذهب بهجته، ويُوهن قوته... وهذه الصفات الثلاث هي في الدرجة الأولى»(١).

- أن الله ﷻ قدم التزكية على العلم في الآيات التي أخبر بها عن هدف بعثته للنبي محمد ﷺ(٢)، حيث قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾؛ وذلك لأن العلم بكون الشيء سبباً لمصلحة العبد ولذاته وسروره، قد يتخلف عنه عمله بمقتضاه لأسباب عديدة: ... السبب الثاني: عدم الأهلية، وقد تكون معرفته به تامة، لكن يكون مشروطاً بزكاة المحل، وقبوله للتزكية، فإذا كان المحل غير زكيّ، ولا قابل للتزكية، كان كالأرض الصلدة التي لا يخالطها الماء، فإنه يمتنع النبات منها لعدم أهليتها وقبولها، فإذا كان القلب قاسياً حجرياً لا يقبل تزكيةً، ولا تؤثّر فيه النصائح، لم ينتفع بكل علمٍ يعلمه، كما لا تنبت الأرض الصلبة ولو أصابها كل مطر وبذر فيها كل بذر(٣).

- أن الله تعالى أقسم في كتابه على فلاح مَن زكّى نفسه بستة عشر قسَماً، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾.

(١) انظر: مدارج السالكين: (٢/٢٧).

(٢) بينما الآية التي ذكرت دعوة نبي الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لم تراعِ هذا الترتيب، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾؛ لأنهما ما قصدَا ترتيباً في الدعاء، ولأن الله عز وجل أعلمُ بعباده وبما ينفعهم؛ ولذا كان الترتيب هذا واضحاً ومقصوداً في جميع الآيات الأخرى.

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة: (١/٩٦).

- أن الله ﷻ أخبر أن الفلاح في الدنيا والآخرة جزاء من تزكّى، كما في الآية السابقة، وكما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾. وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٤].

- أن الله تعالى أخبر أن جنات عدن هي جزاء المتزكّين في الدنيا، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٦].

المطلب الثاني

أهمية التزكية بالقرآن الكريم

لما كانت التزكية بالقرآن هي العمل به، واتباع هديه الذي فيه سعادة الدارين، كان التزكي به فرضَ عينٍ على كل مسلم؛ لأن الله ﷻ أنزل كتابه ليُعمل به ويُهتدى بهديه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ...﴾ [البقرة: ١٢١] أي: يتبعونه حق اتباعه[1].

وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

قال ابن عباس –رضي الله عنهما - رحمه الله «تضمَّنَ اللهُ لمن قرأَ القرآنَ، واتَّبع ما فيه، أنْ لا يضلّ في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية»[2].

والعمل بالقرآن معناه: تصديق أخباره، واتّباع أحكامه، واتخاذه شرعةً ومنهاجاً، فيأتمر بأمره، وينتهي عن نواهيه، ويحتكم إليه في جميع شؤونه الخاصة والعامة؛ حتى يصير القرآن حياتَه، ويصبح كأنه قرآنٌ يمشي على الأرض[3].

وقد دعا القرآن الكريم إلى التزكي به، وحضَّ على العمل بهداياته في آيات كثيرة، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾[النساء: ٦٦–٦٨]، والقرآن الكريم هو أصل الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[الأنعام: ١٥٣]، وقال تعالى:﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال

---

(١) انظر: جامع البيان (٢/٥٦٦ . ٥٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/٢٢٥)، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الحاكم بمعناه في المستدرك، وصححه، برقم: (٣٤٣٨).

(٣) انظر: هجر القرآن العظيم للدوسري (ص: ٥٧٢)، وعظمة القرآن الكريم للدكتور/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني (ص: ٦١).

تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨].

وقد استجاب النبي ﷺ لدعوة القرآن الكريم فتزكَّى به وعمل بهداياته، كما قام بتزكية أصحابه به؛ وقد سُئلت عائشة -رضي الله عنها- عن خُلق النبي ﷺ: «ألستَ تقرأُ القرآنَ؟ فإنَّ خُلقَ نبيِّ اللهِ ﷺ كانَ القرآنَ»(١).

وهذا النهج هو الذي سار عليه أصحابه ﷺ، فاقتبسوا من ضيائه، وتغذَّوْا من غذائه، وتزكَّوْا بتزكيته واهتدَوْا بهداه، وما ذاك إلا بعملهم بالقرآن الذي زكَّاهم به نبيُّهم ﷺ، فتحققت لهم بذلك الرفعة العالية والمكانة العظيمة في ديننا الإسلامي، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

وقد كان مِن هديهم -رضوان الله تعالى عليهم- مع القرآن، أنهم قرؤوه فحفظوه، وعلموا ما فيه، وعملوا بآياته، فحلّلوا حلاله، وحرّموا حرامه، فوقر الإيمان في قلوبهم، وزكت به نفوسهم.

يقول أبو عبدالرحمن السُّلَمي مبيناً منهج أصحاب النبي ﷺ في تعلُّم القرآن، برعاية المزَكِّي الأول عليه الصلاة والسلام، حيث يقول: حدثنا من كان يُقرئنا من أصحاب النبي ﷺ: أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فتعلَّمنا العلم والعمل(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنَّا إذا تعلَّمنا من النبي ﷺ عشر آيات من القرآن، لم نتعلَّم من العشر التي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيه»فقيل لشريك:مِنَ العمل؟ قال:نعم(٣).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، برقم: (٧٤٦).

(٢) أخرجه مجاهد في تفسيره (١/١٩٣)، والإمام أحمد في مسنده (٣٨/٤٦٦)، برقم: (٢٣٤٨٢)، وقد تقدم تخريجه والحكم عليه.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (١/٧٤٣)، برقم: (٢٠٤٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/٣٤٤)، برقم: (١٨٠١)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» وسكت عنه الذهبي.

وقال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما: «لقد عِشنا بُرهةً من دهرنا، وإنَّ أحدَنا يؤتى الإيمانَ قبل القرآن، وتنزل السورة على محمَّد ﷺ فيتعلَّم حلالَها وحرامَها، وما ينبغي أن يُوقَف عنده فيها، كما تعلمون أنتم القرآن، ثم لقد رأيت رجالاً اليوم يؤتى أحدُهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ما يدري ما آمِرُه ولا زاجِرُه، ولا ما ينبغي أن يُوقَف عنده منه، ينثُرُه نثرَ الدَّقَل»[1].

والقرآن الكريم كثيراً ما يحض على العمل بهداياته وإرشاداته، وعدم الاكتفاء بمجرد سماعه وقراءته؛ وقد جاءت نصوص كثيرة بالوعيد الشديد والتهديد الأكيد لمن قرأ القرآن بلسانه دون العمل والتزكّي به، فقال سبحانه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥].

قال ابن القيم -رحمه الله-: «فقاسَ مَن حمّله سبحانه كتابَه ليؤمن به، ويعمل به، ويدعو إليه، ثم خالف ذلك، ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقرأه بغير تدبّر، ولا تفهُّم، ولا اتّباع له، ولا تحكيم له، ولا عمل بموجبه: كحمار على ظهره زاملة أسفار، لا يدري ما فيها، فحظُّه منها: حملها على ظهره ليس إلّا. فحظ هذا من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره، فهذا المثل، وإن كان قد ضُرب لليهود، فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤدِّ حقَّه، ولم يرعَه حقَّ رعايته»[2].

يقول ابن كثير-رحمه الله-: «فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعملِ به، واليهودُ فقدوا العملَ، والنصارى فقدوا العِلمَ؛ ولهذا كان الغضب لليهود، والضلالُ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٩١/١)، برقم: (١٠١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٠/٣)، برقم: (٥٢٩٠)، بسند صحيح، قال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة، ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي، وقال ابن منده: هذا إسناد صحيح على رسم مسلم والجماعة إلا البخاري، نقله أبو عبدالله الداني آل زهوي في سلسلة الآثار الصحيحة (١٦٤/١)، برقم: (١٥٧)، وأبو إسحاق الحويني في المنيحة بسلسلة الأحاديث الصحيحة (٤١٤/٢، ٤١٥)، برقم: (٩٠٠).

(٢) التفسير القيم (٥٤٣-٥٤٤).

للنصارى؛ لأن من عَلِم وتركَ استحق الغضب، خلاف مَن لم يعلَمْ، والنصارى لـمَّا كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه؛ لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الرسول الحق، ضلُّوا، وكلٌّ من اليهود والنصارى ضالٌّ مغضوب عليه، لكنَّ أخصّ أوصاف اليهود الغضب... وأخصّ أوصاف النصارى الضلال... وبهذا جاءت الأحاديث والآثار»(١).

وقال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠].

قال الشنقيطي -رحمه الله-: «وهذه شكوى عظيمة، وفيها أعظم تخويف لمن هجَر هذا القرآن العظيم، فلم يعمل بما فيه، من الحلال والحرام، والآداب والمكارم، ولم يعتقد ما فيه من العقائد، ويعتبر بما فيه من الزواجر، والقصص، والأمثال»(٢).

وقد جاء من الأحاديث في ترك العمل بالقرآن والتزكي به ما تقشعر به الأبدان وتتقطع به القلوب، فعن سمُرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحدٌ منكم من رؤيا»، قال: فيقصّ عليه مَن شاء الله أن يقصّ، وإنه قال ذات غَداة: «إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالَا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنَّا أتينا على رجلٍ مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغُ رأسَهُ، فيتدهده الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصحَّ رأسُهُ كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرةَ الأولى، قال: فقلت لهما: سبحان الله! ما هذان؟ قال: قالَا لي: انطلق انطلق...» الحديث، إلى أن قال في آخره: «أمَا إنَّا سنخبرك، أمَّا الرجل الأول الذي أتيتَ عليه يُثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة...» الحديث(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٥٥).

(٢) أضواء البيان (٦/٤٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، برقم: (٧٠٤٧).

وفي رواية: «... فانطلقنا حتى أتينا على رجلٍ مضطجعٍ على قفاه، ورجلٌ قائم على رأسه بفِهْر –أو صخرة– فيَشْدَخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فانطَلَقَ إليه ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه فضربه...» إلى أن قال: «والذي رأيتَه يُشدخ رأسه، فرجل علَّمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يُفعل به إلى يوم القيامة...»[1].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أوَّل الناس يُقضَى يوم القيامة عليه: رجلٌ استُشهِدَ، فأُتِيَ به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استهشدتُ، قال: كذبتَ، ولكنك قاتلت لأن يقال: جرئٌ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ تعلم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتِي به فعرفه نعمه فعرَفَها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمتُهُ، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآنَ ليُقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمرَ به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ وسَّع الله عليه، وأعطاه مِن أصناف المال كلِّه، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبتَ، ولكنَّك فعلت ليقال: هو جوادٌ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه، ثم ألقي في النار»[2].

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتيت ليلة أُسري بي على قومٍ تُقرضُ شفاهُهُم بمقاريضَ من نارٍ، كُلَّما قُرضت وَفَتْ، فقلت: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: خطباء من أمتك الذين يقولون ولا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون»[3].

ولهذا فإن سلف هذه الأمة علموا بخطورة هذا الأمر، فكانوا يحذِّرون الناس من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، برقم: (١٣٨٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، برقم: (١٩٠٥).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (ص: ٧٣) بسند حسّنه الشيخ الألباني.

الاكتفاء بقراءته دون العمل والتزكي به، يقول عمر بن الخطاب ﷺ: «لا يغرنّكم من قرأ القرآن، فإنما هو كلام يتكلّم به، ولكن انظروا مَن يعمل به»(١).

وقال الحسن البصري -رحمه الله- مبيناً خطورة عدم التزكي بالقرآن والعمل بمضمون هداياته: «إن هذا القرآن قد قرأه عبيدٌ وصبيانٌ لا علم لهم بتأويله، ولم يتأوّلوا الأمرَ من قِبل أوّلِه، وقال الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[ص: ٢٩]، وما تدبُّرُ آياتِه إلا اتّبِاعه، والله يعلم، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، وقد والله أسقطه كلَّه، ما يُرى له القرآن في خلق، ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نَفَس، والله ما هؤلاء بالقُرّاء، ولا العلماء، ولا الحكماء، ولا الورعة، متى كانت القراءة مثل هذا؟ لا كثَّر الله في الناس مثلَ هؤلاء»(٢).

ويقول الفُضَيل بن عياض-رحمه الله-: «إنما نزل القرآن ليُعمل به، فاتخذ الناس قراءته عملاً، قيل: كيف العمل به؟ قال: ليُحلوا حلاله، ويُحرموا حرامه، ويأتمروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه، ويقفوا عند عجائبه»(٣).

وقد اكتسبت التزكية بالقرآن أهميتها الكبرى في ديننا الإسلامي لأن إرشاداته، وهداياته، وأحكامه صالحةٌ لكل زمان ومكان، كافيةٌ للفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١].

قال السعدي -رحمه الله-: «لا كفى الله من لم يكفِه القرآن، ولا شفى الله من لم يشفِه الفرقان، ومن اهتدى به واكتفى، فإنه رحمة له وخير؛ فلذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

(١) أخرجه سعيد بن منصور في التفسير من سننه (٣٩٣/٢)، برقم: (١٢٧)، وضعفه محققه.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٧٤/١)، برقم: (٧٩٣)، وسعيد بن منصور في التفسير من سننه (٤٢٣/٢)، برقم: (١٣٥)، وحسن إسناده المحقق.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل (ص: ٧٦).

﴿لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾؛ وذلك لما يحصل فيه من العلم الكثير، والخير الغزير، وتزكية القلوب والأرواح، وتطهير العقائد، وتكميل الأخلاق، والفتوحات الإلهية، والأسرار الربانية»[١].

والفرد المسلم والمجتمعات المسلمة في تزكيهم بهدايات القرآن الكريم ليسوا في حاجة إلى غيره؛ وذلك لأن القرآن الكريم هو منبع التزكية الذي «لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه»[٢]، فهو كتاب «﴿كريم﴾ أي: كثير الخير، غزير العلم، فكل خير وعلم فإنما يستفاد من كتاب الله، ويستنبط منه»[٣].

وقد جمع الله في كتابه كل علم نافع، وحكمة صالحة، وهداية راشدة، ودلالة موصلة إلى كل خير، وجعله رحمةً من كل شقاء، وشفاءً من كل داء، وصلاحاً ونماءً للعباد والبلاد، فبه تُصحّح العقائد، وبه تستقيم الحياة بجميع جوانبها؛ لأن الله تعالى بيَّن فيه كل ما كانت الأمة في حاجة إليه، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

قال السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ﴾: «فيه خير كثير، وعلم غزير، فيه كل هدى من ضلالة، وشفاء من داء، ونور يستضاء به في الظلمات، وكل حكم يحتاج إليه المكلفون، وفيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب ما كان به أجلَّ كتاب طرق العالم منذ أنشأه الله»[٤].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٣٥).

(٢) الموافقات في أصول الفقه (٤/ ١٤٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٣٦).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧١٢).

والقرآن الكريم تضمَّن كل تزكية ذكرت في الكتب السماوية الأخرى، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

قال الطبري: «وأَوْلى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال: إن قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم خليل الرحمن، وصحف موسى بن عمران، وإنما قلت: ذلك أَوْلى بالصحة من غيره؛ لأن هذا إشارة إلى حاضر؛ فلأن يكون إشارةً إلى ما قرب منها أولى من أن يكون إشارةً إلى غيره. وأما الصحف: فإنها جمع صحيفة، وإنما عَنَى بها: كتب إبراهيم وموسى»[(١)].

كما أن القرآن الكريم تضمَّن كل تزكية تخص الفرد والمجتمع، مع اختلاف أزمانهم، وتعدُّد بلدانهم، وتبايُن عصورهم، وتنوُّع ثقافاتهم، واختلاف ألسنتهم وألوانهم، واشتمل كذلك على ما تتزكى به قضاياهم العامة والخاصة، وكل حاجات النفس البشرية الظاهرة والباطنة.

قال الشنقيطي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]: «ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أن هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعُها لجميع العلوم، وآخرُها عهداً برب العالمين جلَّ وعلا: ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أي: الطريقة التي هي أسدُّ وأعدل وأصوب... وهذه الآية الكريمة أجملَ الله جلَّ وعلَا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبَّعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم؛ لشمولها جميعَ ما فيه من الهدى إلى خيرَيِ الدنيا والآخرة»[(٢)].

---

(١) تفسير الطبري: (٢٤/ ٣٢٤).

(٢) أضواء البيان (١٨/ ٢٧).

والتزكّي بالقرآن الكريم يتميز بالسهولة واليسر سواء في تلاوته، وفهمه، والعمل به؛ لأنها مأخوذة ومستنبطة من كتابٍ وُصف باليسر في كل ما يتعلق به، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

قال الرازي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «سهلناه ؛ للاتعاظ، حيث أتينا فيه بكل حكمة... وجعلناه بحيث يعلق بالقلوب، ويستلذّ سماعه، ومن لا يفهم يتفهّمه، ولا يسأم مِن سمعه وفهمه، ولا يقول: قد علمت فلا أسمعه؛ بل كل ساعة يزداد منه لذةً وعلماً»(١).

وقال السعدي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «أي: ولقد يسّرْنا وسهَّلْنا هذا القرآن الكريم، ألفاظَه للحفظ والأداء، ومعانيَه للفهم والعلم ؛...»(٢).

ولهذا فالأمة الإسلامية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها بحاجة ماسة إلى العودة إلى كتاب ربها والعمل بهداياته؛ لأن كل كمال وصلاح ونماء ديني أو دنيوي، نابع من التزكي به، ولا يمكن للمسلم فرداً كان أو جماعةً، الاستغناء عن التزكي به في معاشه ومعاده.

وخلاصة القول: فإن البعد عن التزكي بالهدايات القرآنية هو عين البعد عن الله تعالى، ولهذا توعَّد الله تعالى كل من أعرض عن التزكي بالقرآن الكريم والعمل بهداياته، فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ [سورة طه٩٩-١٠٠].

(١) مفاتيح الغيب (١٠/٣٠٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٢٥).

المبحث الثالث

أركان التزكية بالقرآن الكريم

ويشتمل على مدخل وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستماع للقرآن الكريم وتلاوته.

المطلب الثاني: تدبر القرآن الكريم.

المطلب الثالث: العلم بمضامين الهدايات القرآنية.

مدخل

للتزكية بالقرآن الكريم والعمل بهداياته ثلاثة أركان، وقد أشارت بعض الآيات الواردة في التزكية إلى هذه الأركان، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾، ففي هذه الآية ومثيلاتها، يمكننا استنباط ركنين من أركان التزكية وهما: تلاوة الآيات القرآنية[1]، والعلم بمضامين هدايات الآيات المتلوّة.

ولما كان طريق العلم بمضامين تلك الهدايات لا يتم إلا من خلال التأمل والتدبر والنظر في آيات الكتاب الكريم، كان الركن الثاني من أركان التزكية هو التدبر؛ ولذا فقد أصبح لدينا ثلاثة أركان للتزكية بالقرآن الكريم والعمل بهداياته.

وعليه فقد قسمنا هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: الاستماع للقرآن الكريم وتلاوته.

المطلب الثاني: تدبُّر القرآن الكريم.

المطلب الثالث: العلم بمضامين الهدايات القرآنية.

(١) يلاحظ في هذه الآية الكريمة ومثيلاتها ذكر التلاوة دون الاستماع، في حين يلزم مِن ذكر تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم على المؤمنين استماعهم لها؛ ولهذا فإننا أضفنا إلى ركن التلاوة: الاستماع إلى القرآن الكريم.

المطلب الأول

الاستماع للقرآن الكريم وتلاوته

إن التزكية بالقرآن لن تؤتي أُكُلها ما لم تقترن بالاستماع له وتلاوة آياته؛ إذ كيف للعامل بالقرآن الكريم أن يتزكّى بهداياته، وهو هاجر له، غير مستمع إليه ولا تالٍ لآياته.

والاستماع للقرآن الكريم، وكثرة تلاوة آياته، سبب من أسباب التزكي به، كما أنه ركن من أركان التزكية بالقرآن، والعمل بهداياته، وكلما أكثر المسلم من قراءة القرآن، والاستماع له، زاد إيمانه، وقويَ يقينه، ووُفِّق للعمل بهداياته.

ولهذا فإن الله ﷻ نهى نبيه ﷺ أن ينطلق في تلاوة القرآن الكريم قبل الاستماع له، وأمره بالإصغاء إلى ما يلقى إليه، قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة:١٦].

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالاستماع والإنصات إلى كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وفي تعليق الرحمة هنا بالاستماع لآيات القرآن، والإنصات لها، دليلٌ على أهميته.

ولهذا قال الليث -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «يُقَال: ما الرحمةُ إلى أحدٍ بأسرعَ منها إلى مستمع القرآن؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ و(لعل) من الله واجبة»(١).

وإنما ذكر الله تعالى الاستماع والإنصات دون غيرهما؛ لكونهما يقودان العبد إلى التدبر والنظر والاستدلال المؤدي إلى التزكي والعمل بهداياته.

قال ابن عاشور -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «فالاستماع والإنصات المأمور بهما هما المؤديان بالسامع إلى النظر والاستدلال، والاهتداء بما يحتوي عليه القرآن من الدلالة على صدق الرسول ﷺ المفضي إلى الإيمان به، ولما جاء به من إصلاح النفوس، فالأمر بالاستماع مقصود به

(١) تفسير القرطبي: (٩/١).

التبليغ واستدعاء النظر والعمل بما فيه، فالاستماع والإنصات مراتب بحسب مراتب المستمعين»[١].

وقال السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مبيناً أهمية الاستماع والإنصات: «فإن مَن لازم على هذين الأمرين حين يُتلى كتاب الله، فإنه ينال خيراً كثيراً، وعلماً غزيراً، وإيماناً مستمراً متجدداً، وهدًى متزايداً، وبصيرةً في دينه؛ ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تُلِيَ عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير»[٢].

وقد علم الكفار خطورة الاستماع إلى القرآن الكريم على معتقداتهم وأفكارهم الباطلة فكانوا يتواصَوْن بعدم سماعه، واللغو فيه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

قال ابن عاشور -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «عِلمُوا أن القرآنَ كلامٌ هو أكملُ الكلام، شريف معانٍ، وبلاغة تراكيب وفصاحة ألفاظ، وأيقنوا أن كل من يسمعه، وتُداخِلُ نفسَه جزالةُ ألفاظه وسموّ أغراضه، قضى له فهمُه أنه حقٌّ اتباعه، وقد أدركوا ذلك بأنفسهم»[٣].

وكما أمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عباده بالاستماع والإنصات للقرآن الكريم، أمر الله نبيه ﷺ، والمؤمنين بتلاوته، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف:٢٧]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾[العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ...﴾[النمل: ٩١، ٩٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[المزمل: ٢٠].

ففي هذه الآيات ومثيلاتها أمرٌ مِن الله تعالى لنبيه بأن يتلو القرآن، وهذا الأمر يشمل

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٢٣٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣١٤).

(٣) التحرير والتنوير (٢٤/٢٧٧).

أمته من بعده عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين المتزكين بتلاوة القرآن الكريم، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]، ففي هذه الآية الكريمة ربط الله تعالى بين تلاوة القرآن والإيمان به.

وقد جاءت الأحاديث النبوية تبيّن فضل تلاوة القرآن الكريم، يقول عليه الصلاة والسلام: «إن مَثَل المؤمن الذي يقرأ القرآن، مَثَل الأترجَّة، ريحها طيب، وطعمها طيب، ومَثَل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مَثَل التمرة، لا ريح لها، وطعمها حلو، ومَثَل المنافق الذي يقرأ القرآن مَثَل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومَثَل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمَثَل الحنظلة ليس لها ريح، وطعمها مر»(١).

وقد كان من هدي النبي ﷺ الإكثار من تلاوة القرآن الكريم والاستماع له، في جميع أحواله، وأوقاته، في ليله ونهاره، حال قيامه وقعوده واضطجاعه، في سيره وركوبه.

يقول ابن القيم -رحمه الله- واصفاً هدي النبي ﷺ في قراءة القرآن واستماعه: «كان له ﷺ حزبٌ يقرؤه، ولا يخلّ به، وكانت قراءته ترتيلاً لا هذّاً ولا عجلةً، بل قراءة مفسَّرة حرفاً حرفاً، وكان يقطع قراءته آيةً آيةً، وكان يمدُّ عند حروف المد... وكان يحب أن يسمع القرآن من غيره، وأمر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقرأ عليه وهو يسمع، وخشع ﷺ لسماع القرآن منه حتى ذرفت عيناه، وكان يقرأ القرآن قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً، ومتوضئاً، ومُحدِثاً، ولم يكن يمنعه من القراءة إلا الجنابة...»(٢).

وهكذا سار مِن بعده الصالحون المتزكُّون بالقرآن الكريم من أمته من الصحابة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام، برقم: (٥٤٢٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن، برقم: (٧٩٧).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٤٦٣ ـ ٤٧٥).

والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع خطاهم، فكان بعضهم إذا لقي أخاه يقول له: «اجلسْ بنا نؤمن ساعةً»[(1)]، يعني: نذكر الله تعالى، ولا شك أن أعلى مراتب ذكر الله عَجَّلَ تلاوةُ كتابه.

وقد كان الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- مِن أحرصِ الناس على تلاوة القرآن وختمه، وقد كان هذا الأمر ظاهراً من بداية العهد الأول، فقد قال ﷺ: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن، حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن وبالليل، وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار»[(2)].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «أديموا النظرَ في المصحف»[(3)].

وقال أيضا: «إن هذه القلوب أوعية، فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره»[(4)].

وقال أبو موسى الأشعري ﷺ: «إني لأستحي ألا أنظر كلَّ يوم في عهدِ ربي مرة»[(5)].

وقال الحسن البصري -رَحِمَهُ اللهُ-: «قال أمير المؤمنين، عثمان بن عفان ﷺ: لو أن قلوبنا طهرت ما شبعت من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي عليَّ يوم لا أنظر في المصحف، وما مات عثمان ﷺ حتى خرق مصحفه من كثرة ما كان يديم النظر فيه»[(6)].

(١) أخرج ابن أبي شيبة وغيره عن معاذ بن جبل ﷺ أنه كان يقول لرجل من إخوانه: «اجلس بنا فلنؤمن ساعة» فيجلسان يتذاكران الله ويحمدانه، وهذا الأثر ذكره البخاري في صحيحه معلقاً، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس...» وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه واللفظ له (١٦٤/٦)، برقم: (٣٠٣٦٣)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٣٦٨/١)، برقم: (٧٩٦).

٢)) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، برقم: (٤٢٣٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضل الأشعريين ﷺ، برقم: (٢٤٩٩).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٤٠/٢)، برقم: (٨٥٥٨)، ورجال إسناده كلهم ثقات.

٤)) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٦/٦) برقم: (٣٠٠١١)، قال الألباني في السلسلة الصحيحة: (١٧٧/٢): لا بأس به.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٤/١).

(٦) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٤٧٩/١)، برقم: (٧٧٥)، وفيه انقطاع، فالحسن لم يسمع من عثمان.

ونجد ذلك في صلواتهم كذلك، فطول القيام وكثرة تلاوة القرآن كانت سمة بارزة في حياتهم؛ لمعرفتهم فضل ذلك، حيث سُئل النبي ﷺ، أي الصلاة أفضل؟ فقال: «طول القنوت»(١) أي: طول القيام؛ لما يتضمنه القيام من قراءة للقرآن، وهو هديه ﷺ.

فعن حذيفة رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة فقرأها، ثم النساء، ثم آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذ تعوَّذ»(٢).

وعن السائب بن يزيد -رحمه الله-، قال: «صليت خلف عمر الصبح، فقرأ فيها بالبقرة، فلما انصرفوا استشرفوا الشمس، فقالوا: طلعت الشمس. فقال: لو طلعت لم تجدنا غافلين»(٣).

وعنه -رحمه الله- أنه قال: «أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُبيّ بن كعب وتميماً الداري أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة، قال: وقد كان القارئ يقرأ بالمئين، حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر»(٤).

وعنه -رحمه الله-: «أن عثمان رضي الله عنه، قرأ بالسبع الطوال في ركعة»(٥).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله، فخذوا منه ما استطعتم، فإني لا أعلم شيئاً أصفر من خير، من بيت ليس فيه من كتاب الله شيء، وإن القلب الذي ليس فيه من كتاب الله شيء خرب، كخراب البيت الذي لا ساكن له»(٦).

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أفضل الصلاة طول القنوت، برقم: (٧٥٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم: (٧٧٢).

(٣) رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/١٨٠) برقم: (١٠٧٨)، وقريب منه عند عبد الرزاق في المصنف (٢/١١٤)، برقم: (٢٧١٧).

(٤) موطأ مالك، كتاب الصلاة في رمضان، باب ما جاء في قيام رمضان (١/١١٥)، برقم: (٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/١٤٣).

٥)) رواه عبد الرزاق في المصنف (٢/١٤٨)، برقم: (٢٨٤٥).

(٦) أخرجه الدارمي في سننه (٤/٢٠٨٣) برقم: (٣٣٥٠)، قال محققه: رجاله ثقات غير أن أبا سنان سعيد بن سنان متأخر السماع من أبي إسحاق، وهو موقوف على ابن مسعود.

وقال أبو هريرة ﷺ: «إن البيت لَيتّسع على أهله، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثر خيره أن يقرأ فيه القرآن، وإن البيت لَيضيق على أهله، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، ويقل خيره أن لا يقرأ فيه القرآن»[1].

بل كانوا يلزمون أنفسهم بذلك، ويحملونها عليه؛ لذلك يقول أبو العالية: «كنا نعدّ من أعظم الذنب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام لا يقرأ منه شيئاً»[2].

وقد كانت لهم -رحمهم الله- ختمات مرتبة، يحافظون عليها، ويتنافسون فيها، فهذا عبدالله بن عمرو يستأذن النبي ﷺ في أن يكثر من الختمات.

فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأِ القرآن في شهر» قلت: إني أجد قوةً... حَتَّى قَال: «فاقرأه في سبع ولا تَزِد على ذلك»[3].

وفيه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَفقهُ مَن قرأ القرآن في أقلَّ من ثلاث»[4].

وهذه الوصية هي التي عمل بها الصحابة العظماء ﷺ، ومَن تبعهم من الأئمة الأجلاء -رحمهم الله-، فعن ابن مسعود ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن في سبع، ولا تقرؤوه في أقل من ثلاث»[5].

وثبت عن معاذ بن جبل ﷺ أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث[6].

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٢٠٨٥/٤)، برقم: (٣٣٥٢)، قال محققه: إسناده صحيح، وهو موقوف على أبي هريرة، وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح (٧٩/٩).

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٣٠٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب في كمْ يُقرأ القرآن، برقم: (٥٠٥٤)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرَّر به، برقم: (١١٥٩).

(٤) رواه أبو داود، أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله، باب تحزيب القرآن، برقم: (١٣٩٤)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كمْ يُستحَب يُختَم القرآن، برقم: (١٣٤٧)، وصححه الألباني في صحيح السنن.

(٥) رواه سعيد بن منصور في التفسير من سننه (٤٤٢/٢)، برقم: (١٤٦) وصحح محققه إسناده، وكذا الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٧٨/٩).

(٦) رواه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص:٨٩) وصححه ابن كثير في "فضائل القرآن" (ص: ٢٥٤).

قال ابن كثير -رحمه الله-: «وقد كره غيرُ واحدٍ من السلف، قراءة القرآن في أقل من ثلاث، كما هو مذهب أبي عبيد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهما من الخلف أيضاً»(١).

لكن روي عن جِلّة منهم أنه خُتم في ليلة، بل وفي ركعة، وعن بعضهم أنه ختم أكثر من ختمة في اليوم والليلة.

قال النووي -رحمه الله-: «وأما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يُحصَوْن؛ لكثرتهم، فمنهم: عثمان بن عفان، وتميم الداري، وسعيد بن جبير»(٢).

لكن ذلك يحمل على عدم المداومة؛ تنزيهاً لهم عن مخالفة نهي النبي ﷺ، قال ابن رجب -رحمه الله-: «وكان قتادة يختم في كل سبع دائماً، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة، وكان للشافعي في رمضان ستون ختمةً يقرؤها في غير الصلاة، وعن أبي حنيفة نحوه... وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة، كشهر رمضان، خصوصاً الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة، كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن؛ اغتناماً للزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق، وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره»(٣).

هذا وإن لكثرة تلاوة القرآن والاستماع إليه، فوائدَ كبيرة، وثمراتٍ عظيمة، من أهمها:

١- حصول المراد من التزكي به، والاهتداء بهديه؛ لأن تلاوة القرآن الكريم، وتشنيف الآذان بالاستماع لآياته أقرب السبل الموصلة إلى العمل بهداياته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ... ﴾ [الإسراء: ٩]، يقول ابن عباس -رضي الله عنهما -: «من

(١) فضائل القرآن (ص: ٢٥٤).

(٢) الأذكار للنووي (ص: ١٠٢).

(٣) لطائف المعارف (ص: ١٧١).

قرأ القرآن واتَّبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب؛ وذلك لأن الله يقول: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]»(١).

٢- إلقاء السكينة في قلب القارئ والمستمع للقرآن الكريم، وذِكْر الله تعالى لهم في الملأ الأعلى، قال عليه الصلاة والسلام: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»(٢).

وهذا الحديث الشريف اشتمل على أربع خصائص خصَّ الله تعالى بها أهل القرآن، الذين يتلون كتابه ويتدارسونه بينهم:

الأولى: نزول السكينة عليهم، وهي «الطمأنينة والراحة النفسية، فلا يصيبهم ما يملأ قلوب الآخرين من قلق واضطراب، وأمراض نفسية وعقد ومخاوف، جعلت حياة هؤلاء جحيماً لا يطاق»(٣).

ووقوع السكينة في القلب منّةٌ من الله تعالى، وفضل عظيم منه ﷻ، يختص بها عبادَه المؤمنين ليزدادوا إيماناً، قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

والمراد من السكينة: الطمأنينة والوقار وسكون القلب، وحسن هذا المعنى النووي. وقيل: الرحمة، قال القاضي عياض: وهذا أليق الوجوه هنا، وقيل: صفاء القلب بنوره وذهاب ظلمته النفسانية، وحصول الذوق والشوق. وقيل: السكينة ملَك يسكن قلب

---

(١) أخرجه عبدالرزاق الصنعاني في مصنفه (٣/٣٨١)، برقم: (٦٠٣٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن (٦/١٢٠)، برقم: (٢٩٩٥٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، برقم: (٢٦٩٩).

(٣) ورتل القرآن ترتيلاً، للدكتور/ أنس كرزون (ص٢١).

المؤمن ويؤمنه ويأمره بالخير[1].

الثانية: تغشاهم الرحمة: أي: تغطيهم، والرحمة هنا: رحمة الله ﷻ[2]، «ورحمة الله تعالى خير لهم مما يجمعه أهل الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، عند ذلك نعلم يقيناً أن ما يجنيه أهل مجلس التلاوة والمدارسة من الخير العظيم لا يوازيه كل شيء يجمعه أهل الدنيا من الحطام الزائل»[3].

الثالثة: تحفهم الملائكة: أي تحيط بهم ملائكة الرحمة والبركة، وتقرب منهم حتى لا تدع فرجاً للشيطان؛ تعظيماً لصنيعهم، واستماعاً لتلاوتهم وقراءتهم، يحفظونهم بأمر الله تعالى من الآفات، ويؤمّنون على دعائهم، ويستغفرون لهم[4].

الرابعة -وهي أهمها وأعظمها-: يذكرهم الله تعالى فيمن عنده ثناءً لهم لتدارسهم كلامه سبحانه، وتلاوتهم آياته، «وأي مكانة أكرم وأعظم من أن يذكر الله ﷻ، وتقدست أسماؤه، عَبْدَه الفقيرَ الضعيفَ، فيمن عنده في الملأ الأعلى»[5].

وقد ورد من حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منه»[6]. فأي خيرٍ وبركةٍ لأهل القرآن أعظمُ من هذا الذي

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (١٩٥/٨)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٢١/١٧)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢٨٧/١)، والتحبير لإيضاح معاني التيسير للأمير الصنعاني (٦٢٧/١)، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (٢١٦/٨).

(٢) شرح الأربعين النووية للشيخ ابن عثيمين (ص٣٥٨).

(٣) هجر القرآن العظيم أنواعه وأحكامه، للدكتور/ محمود بن أحمد الدوسري (ص: ٤٤٢).

(٤) انظر: شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص١٢١)، ومشارق الأنوار الوهاجة، ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه، لمحمد بن علي بن آدم (٣٤٢/٤).

(٥) هجر القرآن العظيم للدوسري (ص: ٤٤٤).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، برقم: (٢٦٧٥).

أعدَّه الله لهم؟!!

٣- براءة القارئ والمستمع المنصت لآيات القرآن الكريم من الغفلة، كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤ـ ٢٠٦].

٤- سلامة العقل وصحة البدن، يقول عبد الملك بن عمير -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «كان يقال: إن أبقى الناس عقولاً: قرّاء القرآن»(١).

أما صحة البدن فإن القرآن الكريم شفاء من جميع الأمراض القلبية والجسدية، وقد أثبت الطب الحديث أن في تلاوة القرآن الكريم، وسماع آياته بشكل مستمر، شفاءٌ بأمر الله تعالى من كافة الأمراض الحسية والنفسية، يقول الدكتور: عبد الدائم الكحيل: «إن الاستماع إلى القرآن يؤدي إلى تنشيط عمل القلب واستقراره، وإزالة التوتر والاضطراب، وبالتالي اطمئنان القلب، وهو ما ينعكس على عمل بقية أجهزة الجسم»(٢).

٥- الاستماع للقرآن الكريم، والإنصات له، وتلاوته حقَّ تلاوته، يحقق في القلب حقيقة التوكل على الله تعالى، واليقين به ﷻ، فأهل القرآن «يفوضون إليه أمورهم، ويثقون به، ولا يرجون غيره، ولا يخافون سواه»(٣)، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢ـ ٤]، فقوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: «يتوكلون على ربهم وحدَه، لا يتوكلون على غيره، ولا يفوّضون أمورهم إلى سواه ﷻ، كما أفاده تركيب الجملة، وعن ابن عباس قال: لا يرجون غيره.

والتوكل أعلى مقامات التوحيد، فإن من كان موقناً بأن ربه هو المدبر لأموره وأمور

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن (٦/١٢٠)، برقم: (٢٩٩٥٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٢٣٥)، برقم: (٢٤٥٢).

(٢) عالج نفسك بالقرآن (ص: ١١).

(٣) معالم التنزيل (٣/٣٢٦)، وانظر: جامع البيان (١٣/٣٨٥).

العالم كلهم، لا يمكن أن يَكِل شيئاً منها إلى غيره... فالمؤمن يتوكل فيه على الله وحده، وإليه يتوجه، وإياه يدعو فيما يطلبه منه...»[1].

٦- حصول البركة لقارئ القرآن الكريم، فعن أبي أُمامة الباهليّ ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا سورة البقرة، فإنَّ أخذَها بركةٌ، وترْكَها حسرةٌ، ولا تستطيعها البَطَلَة»[2].

وعن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قلت: يا رسول الله! أوصني، قال: «عليك بتقوى الله؛ فإنه رأس الأمر كله»، قلت: يا رسول الله! زدني، قال: «عليك بتلاوة القرآن؛ فإنه نورٌ لك في الأرض، وذخرٌ لك في السماء»[3].

٧- كثرة التلاوة سبب للرفعة في الدنيا والآخرة، فعن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث ﷺ، لقي عمر ﷺ بعُسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي، فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئٌ لكتاب الله ﷻ، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أمَا إنَّ نبيكم ﷺ قد قال:«إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»[4].

كما أن تلاوة القرآن الكريم تورث الدرجات العلى في الجنان، حيث: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارْتَقِ، ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»[5].

---

(١) تفسير المنار (٩/٤٩٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ أطول، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، برقم: (٨٠٤).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه في حديث طويل يجمع العديد من الوصايا: (٢/٧٦- ٧٩)، برقم: (٣٦١)، وحسنه لغيره الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/١٦٤)، برقم: (١٤٢٢).

(٤) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، برقم: (٨١٧).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، باب تفريع أبواب الوتر، باب في استحباب الترتيل في القراءة، برقم: (١٤٦٤)، واللفظ له، وأحمد في مسنده (٦/٣١٣، ٣١٤)، برقم: (٦٧٩٩)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وصححه الألباني.

فكلما أكثر المسلم من تلاوة القرآن ازداد رفعةً في الدنيا، ورفعةً في الدرجات يوم القيامة، فقارئ القرآن له بكل حرف عشر حسنات، يقول عليه الصلاة والسلام: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الم﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[١].

وأخرج الحاكم من حديث ابن مسعود ﵁ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ هذا القرآن مأدبةُ الله، فاقبلوا من مأدُبتَه ما استطعتم، إنَّ هذا القرآن حبلُ الله، والنور المبينُ، والشِّفاء النافع، عصمةٌ لمن تمسك به، ونجاةٌ لمن تبعَه، لا يزيغُ فيُستعتب، ولا يَعوجُّ فيُقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق من كثرة الرد، اتلوهُ فإن الله يأجركم على تلاوته كلَّ حرف عشرَ حسنات، أمَا إني لا أقول الم حرف، ولكن: ألفٌ ولامٌ وميمٌ»[٢].

٨- سبب للشفاعة ودخول الجنة بأمر الله تعالى، فقد أخبر النبي ﷺ ذلك فقال: «اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صوافّ، تُحاجان عن أصحابهما...» الحديث[٣].

وعن بريدة بن الحُصيب ﵁ قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعته يقول: «تعلَّموا سورة البقرةِ، فإنَّ أخذها بركةٌ، وتركها حسرةٌ، ولا يستطيعها البطلة» قال: ثم سكت ساعةً ثم قال: «تعلموا سورة البقرة وآل عمران، فإنَّهما الزَّهراوان، يُظلَّان صاحبَهما يوم القيامة كأنَّهما غَمامتان، أو غياياتانِ، أو فرقان من طيرٍ صوافَّ، وإنَّ القُرآن يَلقَى صاحبَهُ

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، برقم: (٢٩١٠) من حديث ابن مسعود ﵁، وجوّد إسناده الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٦٣/٢) برقم: (٦٦٠).

(٢) المستدرك على الصحيحين (٧٤١/١)، برقم: (٢٠٤٠)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، واللفظ له، ورواه سعيد بن منصور في التفسير من سننه (١٧/١)، برقم: (٤)، وصحح محققه أسانيده موقوفاً.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة الباهلي، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، برقم: (٨٠٤).

يومَ القيامةِ حين ينشقُّ قبرُهُ كالرجُلِ الشاحبِ، فيقول له: هل تعرفُني؟ فيقول: ما أعرفُكَ؟ فيقول: أنا صاحبُك القرآنُ الذي أظمأتُكَ في الهَواجرِ، وأسهرتُ ليلكَ، وإنَّ كلَّ تاجرٍ من وراء تجارتِهِ، وإنَّكَ اليوم مِنْ وراء كلِّ تجارة، فيُعطى المُلك بيمينه، والخُلدَ بشماله، ويُوضع على رأسِهِ تاجُ الوَقارِ، ويُكسى وَالداهُ حُلَّتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ، واصعد في دَرَج الجنة وغُرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ، هذّاً كان، أو ترتيلاً»[1].

وغير ذلك الكثير من الفوائد والثمرات التي يجنيها المتزكي من خلال تزكّيه بتلاوة القرآن الكريم، والاستماع لآياته.

وأما من هجَرَ ذلك، وجعل كتاب الله آخرَ همّه، حُرِم التزكي به والعمل بهداياته، وخُشي عليه من الشقاء في الدنيا والآخرة، وأي حرمان أعظم من حرمان التلذذ بتلاوة القرآن الكريم، وسماع آياته، والتزكي بهداياته، وقد أخبر النبي ﷺ أن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرِب[2]، أي: أنه لا ينتفع بالقرآن كما لا ينتفع بالبيت الخرب «فمن لم يكن في جوفه شيء من القرآن يحفظه، لا نفْعَ فيه لنفسه ولا لغيره»[3].

والخَرِب -بفتح الخاء وكسر الراء- أي الخراب؛ لأن عمارة القلوب بالإيمان وقراءة القرآن، وفي الحديث تشبيهُ خلوِّ القلب من القرآن بالبيت الخَرِب، ووجه الشبه بينهما

(١) الحديث بطوله أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤١/٣٨، ٤٢)، برقم: (٢٢٩٥٠)، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٦٤/١)، وقال عن إسناده: «وهذا إسناد حسنٌ على شرط مسلم»، وكذا حسَّن إسناده في المتابعات والشواهد الشيخ شعيب الأرناؤوط ومن معه في تحقيق المسند.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب، برقم: (٢٩١٣)، وأحمد في مسنده (٤٥٩/٢)، برقم: (١٩٤٧)، والحاكم في مستدركه (٧٤١/١)، برقم: (٢٠٣٧)، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»، قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وذكره الألباني في ضعيف سنن الترمذي.

(٣) التحبير لإيضاح معاني التيسير للصنعاني (٦٤٠/١).

«أن القرآن إذا كان في الجوف يكون عامراً مزيناً بحسب قِلَّة ما فيه وكثرته، وإذا خُلِّي عما لا بد له منه من التصديق، والاعتقاد الحق، والتفكُّر في آلاء الله ومحبته وصفاته، يكون كالبيت الخَرِب الخالي عما يعمره من الأثاث والتجمّل»[1].

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي قاري (١٤٧٠/٤).

المطلب الثاني

تدبُّر القرآن الكريم

إن تدبُّر القرآن الكريم ركن أساسي من أركان التزكي به، فهو يأتي عقب ركن الاستماع والتلاوة؛ إذ لا فائدة تكمل في منهج العمل بالقرآن الكريم والتزكي به، بمجرد تلاوته وسماع آياته من دون تدبُّر لهداياته؛ ولهذا كان التدبر من الأهداف والحكم العظيمة لنزول القرآن الكريم، قال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

يقول الشوكاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «وفي الآية دليل على أن الله سبحانه إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبُّر»[(١)].

وقد ورد الأمر بتدبر القرآن الكريم في غير موضع منه، فقال ﷻ: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ...﴾ [المؤمنون: ٦٨] يعني: القرآن[(٢)]، وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، فهذه الآيات ومثيلاتها تُبيّن أهمية تدبر كلام الله تعالى، وأنه هو المقصود الأعظم من إنزاله للناس.

قال السيوطي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «وتسن القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، به تنشرح الصدور، وتستنير القلوب... وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان قصر عنه فيما مضى، اعتذر واستغفر، وإذا مرَّ بآية رحمة، استبشر وسأل، أو عذاب، أشفق وتعوّذ، أو تنزيه، نزّه وعظّم، أو دعاء، تضرَّع وطلَب»[(٣)].

---

(١) فتح القدير (٤/٤٩٤).

(٢) انظر: تفسير السمعاني (٣/٤٨٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/١٣٩).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/١٠٦).

وقال السعدي -رحمه الله- عند تفسير قوله: ﴿لِيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: «أي: هذه الحكمة من إنزاله؛ ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها، ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرةً بعد مرةٍ، تُدرَك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود»[1].

ويقول أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ ﴾: «أي: أفلا يتفكرن في القرآن، ويتأملونه، ويتدبرونه!! أي: فإنهم لو تدبروه لأوجب لهم الإيمان، ولمنعهم من الكفر، ولكن المصيبة التي أصابتهم بسبب إعراضهم عنه. ودلَّ هذا على أن تدبُّر القرآن يدعو إلى كل خير، ويعصِم من كل شر، والذي منعهم من تدبره أن على قلوبهم أقفالها»[2].

فالمقصود من التدبر إذاً هو: النظر والتأمل في القرآن الكريم، والوصول إلى فهم آياته؛ للتزكي به، والعمل بهداياته التي تدعو إلى كل خير وتعصم من كل شر.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: «وأما التأمل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبرُّه وتعقُّله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرَّد تلاوته بلا فهم ولا تدبر»[3]، فتدبُّر القرآن هو: «التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه، وعواقبه، ولوازم ذلك»، أو هو: «الوقوف عند الآيات، والتأمل فيها؛ للانتفاع بها إيماناً وعلماً وعملاً»[4].

فالمقصود الأعظم بعد تلاوة القرآن الكريم وسماع آياته هو تدبُّر معانيه؛ ولهذا قال

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٨٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٥٤).

(٣) مدارج السالكين (١/٤٤٩).

(٤) مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة والآثار، للدكتور/ محمد الربيعة (ص: ١٧٨)، ضمن مطبوعات أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبُّر القرآن الكريم.

ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، وذلك أن تمام التأثير لـمَّا كان موقوفاً على مؤثر مُقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجزِ لفظ، وأبينِه، وأدلِّه على المراد...» ثم قال نقلاً عن ابن قتيبة معلقاً: «استمع كتاب الله، وهو شاهد القلب والفهم، وليس بغافلٍ ولا ساهٍ، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب وغيبته عن تعقُّل ما يقال له، والنظر فيه وتأمله، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووُجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع، وهو اشتغال القلب، وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر، وهو: الانتفاع والتذكر...»(١).

وقال الآجري -رَحِمَهُ اللَّهُ- مبيناً أهمية التدبر: «القليل من الدرس للقرآن، مع الفكر فيه وتدبرُّه، أحبُّ إليّ من قراءة الكثير من القرآن، بغير تدبُّر، ولا تفكُّر فيه، وظاهر القرآن يدل على ذلك، والسنة، وقول أئمة من المسلمين»(٢).

وللتدبُّر نتائج عظيمة؛ وتأثير بليغ في قلوب عباد الله المؤمنين، حيث ينعكس ذلك على جوارحهم خضوعاً وانقياداً، وقد رُوي عن سلفنا الصالح أمورٌ عجيبة في هذا الشأن.

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تنثروه نثر الدَّقَل، ولا تهذّوه هذَّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخرَ السورة»(٣).

---

(١) الفوائد لابن القيم (٣/١).

(٢) أخلاق أهل القرآن (ص: ١٠٩).

٣)) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٦/٢)، برقم: (٨٧٣٣)، والبيهقي في الشعب (٣٦٠/٢)، برقم: (٢٠٤١)، والآجري في أخلاق أهل القرآن (ص: ٤)، وضعّف سنده محقق التفسير من سنن سعيد بن منصور (٤٤٦/٢)، إلا أنه ذكر صحة الأثر بالنظر إلى مجموع طرقه، وانظر كذلك: المنيحة بسلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٤٧/٢).

قالت عائشة -رضي الله عنها- في القصة المشهورة في إمامة أبي بكر رضي الله عنه: «إنّ أبا بكر رجلٌ رقيقٌ»، وفي رواية «أَسِيفٌ»، وفي روايةٍ: «كان أبو بكر رجلاً بكّاءً؛ لا يملكُ عينيه إذا قرأ القرآن»، وفي رواية: «غلب عليه البكاء»(١).

يقول الحسن البصري -رحمه الله- في شأن القرآن الكريم، وكيف تعامل السابقون معه: «إن مَن كان قبلكم رآه رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار»(٢).

وعن عبد الله بن شداد -رحمه الله-، قال: «سمعت نَشِيج عُمر وأنا في آخر الصفوف في صلاة الصبح، وهو يقرأ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]»(٣).

وروى ابن أبي شيبة في المصنف: «أنَّ عائشةَ -رضي الله عنها- قرأت وهي تصلي، قول الله تعالى: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، فبكت، وقالت: اللهمَّ مُنَّ عليَّ وقِني عذابَ السَّموِ، إنك أنت البرّ الرحيم»(٤).

وقال مسروق -رحمه الله-: «قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح، أو كاد أن يصبح، يقرأ آية من كتاب الله، يركع بها، ويسجد، ويبكي: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]»(٥).

وقال نافع -رحمه الله-: «كان ابن عمر إذا قرأ هذه الآية: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] يبكي حتى يغلبه البكاء»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، برقم: (٣٩٠٥)، وانظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر (٧/٦٣٧).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٤٩٨)، التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٤٥).

(٣) ورواه سعيد بن منصور في التفسير من سننه (٥/٤٠٥)، برقم: (١١٣٨)، وصححه محققه، ورواه البخاري معلقاً في صحيحه، كتاب الأذان، باب إذا بكى الإمام في الصلاة.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/٢٥).

(٥) معالم التنزيل للبغوي (٧/٢٤٤).

(٦) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (١/٣٠٥) ورجاله ثقات. كما قال محققو سير أعلام النبلاء (٣/٢١٤).

وعن أبي حمزة عمران بن أبي عمران القصاب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، قال: «قلت لابن عباس: إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث، فقال: لأن أقرأ البقرة في ليلة، فأدَّبَّرها، وأرتّلها، أحب إليَّ من أن أقرأ القرآنَ أجمعَ هذْرمةً[1]»[2].

وعن إبراهيم النخعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، قال: «قرأ علقمة على عبد الله، فكأنه عَجِلَ، فقال عبد الله: فداك أبي وأمي، رَتِّلْ، فإنه زَيْنُ القرآن، قال: وكان علقمةُ حسنَ الصوت بالقرآن»[3].

ويقول وهيب بن الورد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «نظرنا في هذه الأحاديث، فلم نجد شيئاً أرق للقلوب، ولا أشد استجلاباً للحزن، من قراءة القرآن، وتفهُّمه، وتدبُّره»[4].

هذا وإن لتدبُّر القرآن الكريم وسائل متعددة تعين عليه، وتوصل إليه، وقد أكد عليها القرآن الكريم[5]، ومنها:

١- الاستماع والإنصات عند تلاوة آياته، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، والراجح في الآية حملها على العموم في الصلاة وغيرها، قال الشوكاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «أمرَهم سبحانه بالاستماع للقرآن والإنصات له عند قراءته لينتفعوا به، ويتدبروا ما فيه من الحكم والمصالح»[6].

---

١)) هذرمة: هو السرعة في القراءة، لسان العرب (١٢/٦٠٦).

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٧٤).

(٣) المرجع السابق.

(٤) إحياء علوم الدين (٣/٥١٦).

(٥) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٨٥-٩٥)، تفسير المنار (٨/٤٠٦)، وموسوعة الأخلاق، لخالد بن جمعة الخراز (ص١٨٥)، والتدبر مفتاح العلم وباب العمل، للشيخ الدكتور/ سعود بن عبد الله الفنيسان (ص:٢٩٠) مطبوع ضمن مطبوعات الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم بعنوان: مفهوم التدبر تحرير وتأصيل، ومفاتيح تدبر القرآن لخالد اللاحم (ص: ١٩. ٧١)، وهجر القرآن العظيم للدوسري (ص: ٥٤٩ - ٥٦٢).

(٦) فتح القدير (٢/٢٨٠).

ولأهمية الاستماع، صرف الله تعالى إليه الجن، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

٢- إحضار القلب عند قراءته، أو سماعه، قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق: ٣٧].

قال السمعاني -رحمه الله-: «أي: استمع بأُذنه، وهو حاضر بفؤاده، يقول الإنسان لغيره: ألق سمعك، وأَرْعِني سمعَك، أي: استمع إلي، والمعنى: أنه يستمع، ولا يشغل قلبه بما يمنعه من السماع»(١).

٣- ومن وسائل التدبُّر: تنقية القلب والجوارح من الذنوب الصارفة عنه، كالكبر والغرور، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

قال البغوي -رحمه الله-: «يريد الذين يتجبّرون على عبادي، ويحاربون أوليائي؛ حتى لا يؤمنوا بي، يعني: سأصرفهم عن قبول آياتي، والتصديق بها، عوقبوا بحرمان الهداية؛ لعنادهم للحق، كقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. قال سفيان بن عيينة -رحمه الله-: سأمنعهم فهمَ القرآن. قال ابن جريج: يعني عن خلق السماوات والأرض وما فيهما، أي: سأصرفهم أن يتفكروا فيها، ويعتبروا بها»(٢).

٤- ومنها: الاستعاذة من الشيطان ووساوسه؛ لذلك أمر الله تعالى بها في بدء القراءة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

وقد بيَّن الإمام ابن القيم-رحمه الله- فوائد الاستعاذة، وإعانتها على التدبر من وجوه، منها: أن القرآن الكريم شفاء لما في الصدور، يُذهب بما يُلقيه الشيطان فيها من الوساوس

(١) تفسير السمعاني (٥/٢٤٧).

(٢) معالم التنزيل (٢/٢٣٤).

والشهوات، والإرادات الفاسدة، فهو دواء لما أمره فيها الشيطان، فأمر أن يطرد مادة الداء، ويخلي منه القلب؛ ليصادف الدواء محلاً خالياً، فيتمكن منه، ويؤثر فيه، كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكَّنا

فيجيء هذا الدواء الشافي إلى قلب قد خلا من مُزاحم ومضادّ له، فينجع فيه[١].

٥- ومنها الترتيل، والتأني في قراءته، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، أي: اقرأه على تمهُّل؛ فإنه يكون عوناً على فهم القرآن الكريم وتدبُّره[٢]. وهو أحد الوجوه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]. قال القرطبي -رحمه الله-: «﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾، أي: على ترسُّل في التلاوة وترتيل، قاله مجاهد، وابن عباس، وابن جريج[٣]، فيعطي القارئ القراءة حقَّها: ترتيلها، وتحسينها، وتطييبها بالصوت الحسن ما أمكن»[٤].

وهكذا كان يقرأ ﷺ، فعن أنس رضي الله عنه: أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ، فقال: كانت مدّاً، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، يمد ﴿بسم الله﴾، ويمد ﴿الرحمن﴾، ويمد ﴿الرحيم﴾»[٥].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ««لا تنثروه نثر الدَّقَل، ولا تهذّوه هذَّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخرَ السورة»[٦].

ولتحقيق التدبُّر نهى النبي ﷺ عن ختم القرآن الكريم في أقل من ثلاثة أيام فقال: «اقرأ القرآن في ثلاث؛ فإنه لا يَفقهُ مَن قرأه في أقل مِن ثلاث»[٧].

---

(١) إغاثة اللهفان (١/٩٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨/٢٥٠).

(٣) انظر هذه الآثار في تفسير ابن جرير (١٧/٥٧٦).

(٤) والمعنى الآخر ذكره القرطبي في تفسيره (١٠/ ٣٣٩) بقوله: «أي: تطاول في المدة شيئاً بعد شيء».

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة، برقم: (٥٠٤٦).

(٦) معالم التنزيل (٨/٢١٥).

(٧) رواه أبو داود، كتاب تفريع أبواب شهر رمضان، باب في كم يُقرأ القرآن، برقم: (١٣٩٠)، وأصله في البخاري برقم: (١٩٧٨).

٦- ومنها تكرار القراءة، وقد روى أبو ذر ﷺ أن النبي ﷺ: «قام بآية يرددها حتى أصبح: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨]»(١).

والآثار عن السلف -رحمهم الله- في ذلك كثيرة(٢).

٧- ومنها التغني بالقرآن، وتحسين الصوت بالقراءة، كما قال ﷺ: «زيّنوا القرآن بأصواتكم»(٣). وقال ﷺ: «ليس منّا من لم يتغنَّ بالقرآن»(٤). وقال ﷺ: «ما أذِنَ الله لشيء ما أذِنَ لنبيٍّ حسنِ الصوتِ، يتغنّى بالقرآن، يجهرُ به»(٥).

وهو ما مدح به داود ﷺ؛ لذلك قال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري ﷺ: «لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود»، فقال أبو موسى ﷺ: «لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتي لحبَّرته لك تحبيراً»(٦).

والعلة في كل ذلك زيادة الخشوع والتدبُّر، ويدل عليه قوله ﷺ: «أحسن الناس قراءةً، الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله»(٧).

---

(١) رواه النسائي، كتاب الافتتاح، باب ترديد الآية، برقم: (١٠٠٩)، وحسّنه الألباني.

(٢) ينظر: تعليم تدبُّر القرآن للأهدل (ص:١١٦).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، برقم: (١٤٦٨)، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب تزيين القرآن بالصوت، برقم: (١٠١٥)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، في حسن الصوت بالقرآن، برقم: (١٣٤٢)، ورواه البخاري معلقاً في كتاب التوحيد، باب الماهر بالقرآن مع الكرام البررة.

(٤) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وأسرُّوا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (الملك: ١٣-١٤) برقم: (٧٥٢٧).

(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب "من لم يتغنَّ بالقرآن"، برقم: (٥٠٢٤)، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾، وغيرها، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب (استحباب تحسين الصوت بالقرآن)، برقم: (٧٩٢).

(٦) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، برقم: (٥٠٤٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، برقم: (٢٣٥).

(٧) أخرجه الخطيب (٢٠٨/٣)، وأخرجه أيضاً: عبد بن حميد (ص: ٢٥٥)، برقم: (٨٠٢)، والروياني (٤١٠/٢) برقم: (١٤١٥)، والطبراني في الأوسط (٣١١/٢) برقم: (٢٠٧٤)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٧٠/٧): «فيه حميد بن حماد، وثّقه ابن حبان، وقال: ربما أخطأ»، وأخرجه أيضاً: مُحَمَّد بن نصر في قيام الليل كما في مختصره للمقريزي (ص:٢٢٣) برقم: (١٥٢)، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة (١١١/٤).

فكل هذه الأسباب وغيرها تعين على تدبُّر القرآن الكريم الذي أمر اللهُ تعالى به؛ والمقصود من هذا كله: الانتفاع بالقرآن الكريم عند سماع آياته وتلاوته، والعمل والتزكي بهداياته.

هذا وإن لتدبر كلام الله تعالى فوائد عديدة، وثمرات يانعة كثيرة، من أهمها(1):

١- أن التدبر لآيات القرآن الكريم يؤدي إلى الإيمان به، والتصديق بآياته، واليقين بحقيقته، فيستجيب لأوامره، ويبتعد عن نواهيه، يقول السعدي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً. فترى الحِكم والقصة والإخبارات تُعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضاً، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور؛ فلذلك قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلا»(2).

٢- أنه يوصل إلى معرفة الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، «وما له من صفات الكمال، وما ينزَّه عنه من صفات النقص»(3)، فيصل بالعبد إلى تحقيق العبودية له سبحانه، فمن عرف الرب حقيقةَ المعرفة وصلَ إلى هذه الغاية.

يقول سيد قطب -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «تدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الضمير، وينشئ حياةً للروح تنبض بها

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (١/١٨١ ـ ١٩٠)، ومدارج السالكين (١/٤٤٩) وما بعدها، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ١٩٨. ١٩٠)، وتفسير المنار (٥/٢٤٠، ٢٤١)، وأفلا يتدبرون القرآن (ص: ٢٢١.١٦٥)، وفتح الرحمن في بيان هجر القرآن (ص: ٢١٢.٢١٠)، ومفهوم التدبر تحرير وتأصيل، للدكتور/ خالد السبت (ص: ١٦٥)، ضمن مطبوعات أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبُّر القرآن الكريم.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص١٩٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص١٨٩).

وتشرق وتستنير»[١].

٣- يحقق العلم بالطريق الموصلة إلى الرب ﷻ، فيسير عليها، وفي مقابل ذلك يعرف بالطريق المبعدة عن الرب والطريق الموصلة إلى العذاب الأليم فيبتعد عنها. يقول ابن القيم -رحمه الله-: «فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبُّر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تُطلِع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتتُلُّ في يده[٢] مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبِّت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيّد بنيانه، وتوطّد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه... وتُشهده عدلَ الله وفضلَه، وتعرِّفهُ ذاته وأسماءَه وصفاته وأفعاله... وبالجملة تعرّفه الربَّ المدعوَّ إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قَدِم عليه، وتعرّفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه...»[٣]، ويشير السعدي -رحمه الله- إلى هذه الفائدة أو الثمرة من ثمرات التدبر فيقول: «ويُعرِّف الطريق الموصلة إليه، وصفة أهلها وما لهم عند القدوم عليه، ويُعرف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب الغفلة»[٤].

---

(١) في ظلال القرآن (٦/٣٢٩٧).

(٢) تلَّ يتِل ـ بالكسر ـ إذا سقط، وتلَّ في يده يَتُل: إذا صبَّ. انظر: تاج العروس (مادة: تلل).

وقد يكون بمعنى الوضع، ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: ((نصرت بالرعب، وأعطيت جوامع الكلم، وأُحلَّ لي المغنم، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فتُلت في يدي)).

أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٠٥١٧)، والحديث في الصحيحين بلفظ (البخاري برقم ٢٩٧٧، ومسلم برقم ٥٢٣): ((فوُضعت في يدي)).

(٣) مدارج السالكين (١/٤٥٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (١٨٩).

٤- بالتدبر يصل العبد إلى كثرة العلم وزيادته، فالعبد كلما ازداد تأملاً فيه، ازداد علماً وعملاً وبصيرة[١]. يقول ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- في التفريق بين التذكر والتفكر: «وكلٌّ من التذكر والتفكر له فائدة غير فائدة الآخر، فالتذكر يفيد تَكرار القلب على ما علمه وعرفه؛ ليرسخ فيه ويثبت، ولا ينمحي فيذهب أثره من القلب جملةً، والتفكر يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلاً عند القلب، فالتفكر يحصله، والتذكر يحفظه...»[٢].

وغيرها من الثمرات، التي في جملتها تفيد على صعيد بناء الفرد المسلم، من حيث الوصول إلى قوة يقينه بكتاب ربه، وطهارة قلبه، وتزكية نفسه، وتحسين أخلاقه، وحل مشكلاته المادية والنفسية والصحية، وشحذ همته.

وتفيد كذلك على صعيد المجتمع، والنهوض بالأمة الإسلامية، فلو «ذهبنا نتتبع التاريخ لوجدنا كل انتكاسة وكل هزيمة تنزل بالمسلمين، إنما سببها مخالفتهم لتعاليم دينهم الحنيف، وترك العمل بشيء من كتاب ربهم وسنة نبيهم، هذا العمل هو لازم من لوازم تدبُّر الكتاب»[٣].

يقول مُحَمَّد رشيد رضا -رَحِمَهُ اللهُ-: «وسِرّ القرآن لو أن المسلمين استقاموا على تدبُّر القرآن والاهتداء به في كل زمان، لما فسدت أخلاقهم وآدابهم، ولما ظلم واستبدّ حكامهم، ولما زال ملكهم وسلطانهم، ولما صاروا عالةً في معايشهم وأسبابِها على سواهم»[٤].

وبالجملة «فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة، والشوق، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والرضا، والتفويض، والشكر، والصبر، وسائر

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص١٨٩).
(٢) مفتاح دار السعادة (١/١٨٣).
(٣) انظر: أفلا يتدبرون القرآن للدكتور/ ناصر العمر (ص١٦٥ - ٢١٥).
(٤) تفسير المنار (٥/٢٤١).

الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة، والتي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكُّر حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كرَّرها ولو مائة مرةٍ، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكُّر وتفهُّم خير من قراءة ختمة بغير تدبُّر وتفهُّم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السلف... فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب»[1].

وخلاصة القول: فإن من حُرِم تدبُّر القرآن الكريم حُرِم الخير كله؛ لأنه لا خير في قراءةٍ لا تدبُّر معها.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٨٧).

المطلب الثالث

العلم بمضامين الهدايات القرآنية

إن الهدف الأسمى، والغاية العظمى من تلاوة القرآن الكريم، وسماع آياته، وتدبُّره: العلم بمضامين هداياته؛ وذلك لأن التزكي بالقرآن لا يتم إلا من خلال تعلُّم مضامين هدايته؛ ولهذا كان ذلك ركناً أساسياً من أركان التزكي والعمل.

ولذا بدأ المولى ﷻ بالعلم قبل العمل في قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ...﴾ [محمد: ١٩]، والأمر في: ﴿فاعلم﴾ كناية عن طلب العلم، «ومن اللطائف القرآنية أنْ أمرَ هنا بالعلم قبل الأمر بالعمل في قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾، قال ابن عيينة لما سُئل عن فضل العلم: ألم تسمع قوله حين بدأ به ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾»(١).

وقد بوَّب البخاري -رحمه الله- في صحيحه باباً بعنوان: باب العلم قبل القول والعمل(٢)، ذكر فيه جملةً من النصوص في القرآن والسنة في فضل العلم وأهله، وهو يريد بذلك كما قال ابن المنير -رحمه الله-: «... أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يُعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما؛ لأنه مصححٌ للنية المصححة للعمل، فنبه المصنف على ذلك؛ حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم: إن العلم لا ينفع إلا بالعمل، تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه»(٣).

وقد دعا الله تعالى إلى العلم وحضَّ عليه، فكان أول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥].

---

(١) التحرير والتنوير (١٠٥/٢٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم (٢٤/١).

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٦٩/١)، وعمدة القاري للعيني (٣٩/٢).

كما جاءت آيات كثيرة في بيان فضل العلم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة: ١١].

والعلم بالقرآن الكريم هو أول ما ينسحب إليه جميع ما ورد في فضل طلب العلم، ولهذا كان اهتمام سلف هذه الأمة بتعلُّم معاني القرآن يفوق مجرد تلاوته والاستماع إليه؛ خوفاً من أن يكون حظهم من القرآن الكريم ما أنكره الله تعالى على الكتابيّين، حيث قال عنهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

قال السعدي -رَحِمَهُ اللهُ-: «﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: من أهل الكتاب، ﴿أُمِّيُّونَ﴾ أي: عوامّ، ليسوا من أهل العلم، ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ أي: ليس لهم حظ من كتاب الله إلا التلاوة فقط، وليس عندهم خبر بما عند الأولين، الذين يعلمون حقَّ المعرفة حالَهم، وهؤلاء إنما معهم ظنون وتقاليد لأهل العلم منهم»(١).

وفي قوله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما - في تفسير الحكمة: «المعرفة بالقرآن: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله»(٢).

قال القرطبي -رَحِمَهُ اللهُ-: «وينبغي له أن يتعلم أحكام القرآن، فيفهم عن الله مرادَه، وما فرضَ عليه، فينتفع بما يقرأ، ويعمل بما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه، وما أقبح أن يسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه، فما مَثَل مَن هذه حالته إلا كمثل الحمار يحمل أسفاراً»(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٦).

(٢) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (ص: ٦)، وابن جرير في تفسيره (٥/٨)، وحسّنه محققه.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/٢١).

ومما يدل على حرص السلف الصالح على تعلُّم مضامين هدايات القرآن الكريم، ما يلي:

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «من أراد العلم فليتبوأ من القرآن؛ فإن فيه علم الأولين والآخرين»[(١)]، وفي رواية: «فليُثوِّر القرآنَ»: أي: لينقر عنه، ويفكر في معانيه، وتفسيره، وقراءته[(٢)].

وعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما – أنه قال: «لقد عِشنا بُرهةً من دهرنا، وإنَّ أحدَنا يؤتى الإيمانَ قبل القرآن، وتنزل السورة على مُحَّد ﷺ فيتعلَّم حلالَها وحرامَها، وما ينبغي أن يُوقَف عنده فيها، كما تعلمون أنتم القرآن، ثم لقد رأيت رجالاً اليوم يؤتى أحدُهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ما يدري ما آمِرُه ولا زاجِرُه، ولا ما ينبغي أن يُوقَف عنده منه، ينثُرُه نثرَ الدَّقَل»[(٣)].

وقال مجاهد –رحمه الله–: «عرضتُ القرآنَ على ابن عبّاس ثلاثَ عَرَضات أَقِفُهُ عند كل آية أسأله: فيم نزلت، وكيف كانت؟» وفي رواية: «عرضتُ القرآنَ على ابن عبّاس ثلاثين عَرْضة»[(٤)].

وقال الحسن البصري –رحمه الله–: «ما أنزلَ الله آيةً، إلا وهو يحب أن يعلم ما أرادَ بها»[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص: ٢٨٩)، والبيهقي في الشعب (٣/٣٤٧) برقم: (١٨٠٨). وصحّحه محقق التفسير من سنن سعيد بن منصور (٩/١)، وذكر بعض طرقه.

(٢) النهاية لابن الأثير (١/١٣٨).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٣٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وذكر محقق التفسير من سنن سعيد بن منصور (١/٢٠٩) بعض طرقه، وصححه.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/٢٠٣)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٠٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/٢٨٠): الرواية الأولى من طريق أبَان بن صالح عنه، والرواية الثانية: عن الفضل بن ميمون عنه، وانظر: سِيَر أعلام النبلاء (٤/٤٥٠).

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص:٩٧)، بإسناد حسن.

وقال عمرو بن مرة -رحمه الله-: «ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنني؛ لأني سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]»(١).

فلذلك كان السلف -رحمهم الله- مِن الصحابة ومَن بعدهم، يمكث أحدهم في تعلم السورة من القرآن الكريم، السنينَ الطويلة.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «تعلَّمَ عمرُ البقرةَ في اثنتي عشرة سنةً، فلمَّا ختَمَها نحر جزوراً »(٢).

وعن مالك -رحمه الله-، أنه بلغه أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلَّمها(٣).

ولا يدل هذا التأخر على ضعف الحفظ، أو الانشغال عنه، وإنما يدل على الاهتمام بالعلم والفهم؛ لذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كان الرجل منَّا إذا تعلَّم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيَهن، والعملَ بهن»(٤).

وهو المنهج العام الذي حكاه عن عامتهم أبو عبد الرحمن السلمي-رحمه الله- حيث قال: «كان الذين يُقرئوننا القرآن من صحابة رسول الله ﷺ: عثمان، وأُبيّ بن كعب، وغيرهما، يقولون: كنَّا على عهد النبي ﷺ لا نتجاوز العشر آيات، حتى نعرف ما فيها من العلم والعمل، فتعلَّمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»(٥).

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص:٩٧)، وابن أبي حاتم في التفسير (١١/٤٤٠)، بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في شُعب الإيمان (٣ / ٣٤٦)، تهذيب سير أعلام النبلاء (١/٣٥)، وفيه أبو بلال الأشعري قال عنه البيهقي في الشعب (٢/٤٧٤): «وقد روى أبو بلال الأشعري وليس بالقوي».

(٣) رواه مالك في الموطأ، كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن، برقم: (١١).

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١/٨٠)، بإسناد صحيح كما ذكره المحقق في المقدمة.

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٥/٤١٠)، وابن جرير في التفسير (١/٨٠)، وله طرق يحسّن بها.

وقد ذكر النبي ﷺ أن خيرية هذه الأمة تكمن في مَن تعلَّم القرآن الكريم تلاوةً وتدبُّراً وفهماً، وعلَّم ذلك غيره، فقال ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»(١).

وبسبب هذا الفضل العظيم والشرف الكبير، اعتنى الصحابة الكرام بتعلم القرآن، والعلم بما تضمنه من هدايات؛ ولهذا كان تعظيمهم للعلماء القرّاء كبيراً، حيث قال أنس ﵁: «كان الرجل إذا قرأ: البقرة، وآل عمران، جدَّ فينا — يعني: عظُمَ»(٢)؛ لأنه لا يقرؤها إلا بتعلُّمها.

وعنه ﵁ قال في وصف هؤلاء القرّاء: «يتدارسون القرآن بالليل، ويتعلمون»(٣).

وعن أبي عطية الهمداني -﵀-، قال: «كتب عمر بن الخطاب ﵁: تعلَّموا سورة براءة، وعلِّموا نساءكم سورة النور»(٤).

وسبب ذلك: أن في سورة براءة الحث على الجهاد، وفي سورة النور الحث على الحجاب(٥)، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أهمية تعلُّم ما في القرآن من أحكام وهدايات.

فالصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا حريصين على بيان معاني القرآن الكريم ومضامين هداياته، ومن الأمثلة على ذلك ما رواه أبو الطفيل ﵁، قال: «رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ قام على المنبر، فقال: سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي، قال: فقام ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين، ما ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾؟ قال: الرياح. قال: فما ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾؟ قال: السحاب. قال: فما ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾؟ قال:

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، برقم: (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٤٧/١٩)، وصححه محققو المسند.

٣)) أخرجه البخاري، كتاب المغازي،باب غزوة الرجيع...، برقم: (٤٠٩٠).

(٤) رواه سعيد بن منصور في التفسير من سننه (٢٣٢/٥)، برقم: (١٠٠٣)، وصححه محققه.

(٥) التفسير المظهري: (١٣١/٤).

السفن. قال: فما ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾؟ قال: الملائكة. قال: فمن ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]؟ قال: منافقُو قريشٍ»(١).

كما كانوا حريصين على طلب تعلُّم ما جهلوه من كتاب الله تعالى، فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «لو أعلمُ أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلُغه الإبل، لركبتُ إليه»(٢).

ولهذا فإنه ينبغي لمن أراد أن يتزكى بالقرآن أن يتعلم ما جهل من معانيه وهداياته؛ لأن أكثر ضَلال العباد هو في عدم فهمهم لمعاني آيات الكتاب العزيز ودلالاتها، فقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه: «أرسل إلى ابن عباس، فقال: كيف تختلف هذه الأمة، ونبيُّها واحد، وقِبلتها واحدة؟. فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين! إنا أُنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن، ولا يدرون فيما نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا. قال: فزجره عمر وانتهره؛ فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال، فعرفه فأرسل إليه، فقال: أعد عليَّ ما قلتَ. فأعاده عليه؛ فعرف عمر قوله، وأعجبه»(٣).

قال الشاطبي -رحمه الله-: «وما قاله صحيح في الاعتبار، ويتبيَّن بما هو أقرب، فقد روى ابن وهب عن بكير، أنه سأل نافعاً: كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: «يراهم شرار خلق الله، إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار، فجعلوها على

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٦) برقم: (٣٧٣٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، برقم: (٥٠٠٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما، برقم: (٢٤٦٣).

(٣) أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن (ص:٤٥-٤٦)، وسعيد بن منصور في "سننه" (١/١٧٦) برقم: (٤٢)، عن هشيم عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي به، والتيمي لم يدرك زمن عمر؛ فإسناده منقطع، لكن له طريق عن علي بن بَذِيمة الجزري عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس به نحوه، وإسناده صحيح، أخرجه عبد الرزاق في "جامع معمر" (١١/٢١٧-٢١٨) برقم: (٢٠٣٦٨).

المؤمنين»[1]. فهذا معنى الرأي الذي نبه ابن عباس عليه، وهو الناشئ عن الجهل بالمعنى الذي نزل فيه القرآن»[2].

وقد علم الصحابة -رضوان الله عليهم- خطورة الجهل وعدم العلم بما في كتاب الله تعالى من هدايات، ورأوا أن ذلك هو منبع التنطع والتشدد وظهور البدع، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «عليكم بالعلم قبل أن يُقبض، وقبضُه ذَهابُ أهله، عليكم بالعلم، فإن أحدكم لا يدري متى يُقبض، أو متى يفتقر إلى ما عنده، وستجدون أقواماً، يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع، والتنطع، والتعمق، وعليكم بالعتيق»[3].

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «وكانت البدع الأولى مثل "بدعة الخوارج" إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه»[4].

(١) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم: (٢٨٢/١٢)، تعليقاً بصيغة الجزم، وذكر الحافظ وصله، وصحّحه في تغليق التعليق (٢٥٩/٥).

(٢) الموافقات (١٣٩/٤).

(٣) رواه الدارمي في سننه (٢٥١/١)، برقم: (١٤٥)، وضعّفه المحقق.

(٤) مجموع الفتاوى: (٣٠/١٣).

الخاتمة

فبعد هذه الدراسة العلمية التي تناولت بيان مفهوم التزكية بالقرآن وأهميتها — وأركانها، نسأل الله ﷻ في ختامها أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع بها الأمة، وفي خاتمتها نسوق أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم النتائج:

- جاءت لفظة التزكية في القرآن الكريم بمعانٍ تتوافق مع اللغة وتزيد عليها، تتوافق معها في النماء والطهارة، والمدح والثناء، وأضاف القرآن معنًى آخرَ وهو بذل المال لوجه الله تعالى.
- التزكية بالقرآن في الاصطلاح: العمل بالهدايات القرآنية الموصلة إلى درجة الإحسان.
- أن التزكية بالقرآن أعم من التربية بالقرآن، فبينهما عموم وخصوص، فكل تزكية تربية، وليس كل تربية تزكية.
- تظهر أهمية التزكية بالقرآن أنها من أهم أهداف الوحي ومقاصده، وكل أنبياء الله ورسله اعتنَوْا بهذه القضية في دعوتهم.
- تظهر أهمية التزكية بالقرآن أنها تزكية بكتاب رب العالمين، الذي هو أصل كل خير، ومنبع كل صلاح؛ إذ فيه الهدى والنور، والسعادة والسرور، لجميع الناس، ولمختلف مناحي حياتهم، وقضاياهم المتعددة.
- للتزكية بالقرآن ثلاثة أركان، وهي: الاستماع للقرآن الكريم وتلاوته، وتدبُّره، والعلم بمضامين هداياته. فهجران أحد هذه الأركان الثلاثة ينقض من بناء التزكية بالقرآن الكريم.

ثانيا: أهم التوصيات:

- نشر ثقافة التزكية بالقرآن في المجتمع، وخاصةً في المحاضن القرآنية.
- عمل المناهج العلمية لجميع الفئات العمرية في التزكية بالقرآن.
- إقامة الملتقيات العلمية، والبحوث والدراسات التي تُثري هذا الموضوع بمختلف جوانبه.



فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف د. زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة) - ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة)، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٣- الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، تحقيق وطبع: مركز الدراسات القرآنية، التابع لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.

٤- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان، أبي حاتم، الدارمي، البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥- إحياء علوم الدين، لأبي حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي، بيروت: دار المعرفة.

٦- الأذكار، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٧- إصلاح الوجوه والنظائر، للحسين بن مُحَمَّد الدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.

٨- أصول التربية الإسلامية، لسعيد بن إسماعيل، عمان: دار المسير، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٩- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، لعبد الرحمن النحلاوي، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٩م.

١٠-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن مُحَمَّد المختار الجكني الشنقيطي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١١-إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مُحَمَّد حامد الفقي، الرياض: مكتبة المعارف.

١٢- أفلا يتدبرون القرآن، لناصر بن سليمان العمر، الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٣-اقتضاء العلم العمل، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ.

١٤-الأمثال في القرآن، لابن قيم الجوزية، تحقيق: أبي حذيفة إبراهيم بن مُحَمَّد، طنطا: مكتبة الصحابة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.

١٥-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي البيضاوي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠١م.

١٦-بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، المكتبة الشاملة، موافقة للمطبوع.

١٧-بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، بيروت: دار الكتاب العربي.

١٨-تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض مُحَمَّد الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بيروت: دار الهداية.

١٩- تاريخ التربية الإسلامية، لأحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩م.

٢٠-التبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: مُحَمَّد الحجار، الطبعة الثالثة بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢١-التبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: مُحَمَّد الحجار، الطبعة الثالثة بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢٢- التحبير لإيضاح معاني التيسير، لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن مُحَمَّد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، المعروف كأسلافه بالأمير، تحقيق: مُحَمَّد صبحي بن حسن حلاق أبي مصعب، الرياض: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٢٣-التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

٢٤-تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا مُحَمَّد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٥- التدبر مفتاح العلم وباب العمل، لسعود بن عبد الله الفنيسان، مطبوع ضمن مطبوعات الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم بعنوان: مفهوم التدبر تحرير وتأصيل، الرياض: مركز تدبر، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٢٦- التربية الإسلامية، أصولها وتطورها في البلاد العربية، لمحمد منير مرسي، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٢م.

٢٧-التربية القرآنية في سورة النور، أنور أحمد داود اعمير، رسالة ماجستير، فلسطين: كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٨- التربية القرآنية منهج تأصيلي (المفهوم – والأسس- والضوابط نموذجاً)، لأحمد صالح بني سلامة، بحث منشور في ملتقى التربية بالقرآن بجامعة أم القرى.

٢٩- التربية بالقرآن (المفهوم والأسس والضوابط)، علي بن عبده أبو حميدي، بحث منشور في ملتقى التربية بالقرآن بجامعة أم القرى.

٣٠-التربية وبناء الأجيال في الإسلام، لأنور الجندي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٥م.

٣١-تعليم تدبر القرآن (أساليب عملية ومراحل منهجية)، لهاشم الأهدل، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية.

٣٢-تفسير ابن عثيمين، لمحمد بن صالح العثيمين، الدمام: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٣-تفسير السمعاني، لأبي المظفر منصور بن مُحَمَّد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣٤-تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، الطبعة الثانية، مكة المكرمة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٣٥-تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد مُحَمَّد الطيب، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٣٦-التفسير القيم، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الطبعة الأولى، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤١٠هـ.

٣٧-التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، لفخر الدين مُحَمَّد بن عمر الرازي التميمي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣٨-تفسير المنار، للسيد مُحَمَّد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٣٩-تفسير مجاهد، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، تحقيق: د. مُحَمَّد عبد السلام، أبي النيل، مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٤٠-التفسير من سنن سعيد بن منصور، لأبي عثمان سعيد بن منصور الجوزجاني، تحقيق: د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، الدمام: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٤١-تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور، تحقيق: مُحَمَّد عوض مرعب، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٤٢-التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين مُحَمَّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٤٣-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٤٤-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر مُحَمَّد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٤٥-الجامع الصحيح المختصر، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري الجعفي، الطبعة الثالثة، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٤٦-الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٧-ربانية لا رهبانية، لأبي الحسن الندوي، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٤٨- روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي، ترتيب: طارق بن عوض الله بن مُحَمَّد، طبعة دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤٩-زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية، الطبعة السابعة والعشرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامي، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٥٠-الزهد، لأبي داود سليمان بن الأشعث السّجِسْتاني، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم بن مُحَمَّد، وأبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم، حلوان: دار المشكاة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٥١-الزهد، لأبي عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، وضع حواشيه: مُحَمَّد عبد السلام شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٥٢-الزهد والرقائق لابن المبارك، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: دار الكتب العلمية.

٥٣-سلسلة الآثار الصحيحة أو الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين، لأبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي، راجعه: عبد الله بن صالح العبيلان، دار الفاروق، الطبعة الأولى.

٥٤-سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، ١٤٢٠هـ، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٥٥-سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، الرياض: دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٥٦-السنن، أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر.

٥٧-السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٥٨-السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ/٢٠٠١ م.

٥٩-سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، إشراف/ شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م.

٦٠-شرح الأربعين النووية، لمحمد بن صالح بن مُحَمَّد العثيمين، دار الثريا للنشر.

٦١-شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، لتقي الدين أبي الفتح مُحَمَّد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، مؤسسة الريان، الطبعة السادسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٦٢-شرح معاني الآثار، لأبي جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن سلامة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: مُحَمَّد زهري النجار ومُحَمَّد سيد جاد الحق. مراجعة: د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي، بيروت: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٦٣-شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٦٤-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، الطبعة الرابعة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٦٥-صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٦٦-صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي.

٦٧-صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٦٨-صلاحية مصطلح التزكية الإنسانية كبديل لمصطلحَيِ التربية المستمرة، والتربية الذاتية، للباحثة: سمر العريفي، بحث منشور على الإنترنت.

٦٩- عالج نفسك بالقرآن، لعبد الدائم الكحيل، من موقعه على الإنترنت.

٧٠-العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لعبد الرحمن بن مُحَمَّد ابن خلدون المغربي، الطبعة الرابعة، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٧١- عظمة القرآن وتعظيمه وأثره في النفوس في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، وعظمة، وأثر، وتدبر، وفضائل، وعلم، وعمل، وتعاهد، وآداب، وأخلاق، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، الرياض: مطبعة سفير.

٧٢-العلم المرفوع (التزكية والسلوك)، لعبد الفتاح اليافعي، صنعاء: مركز عبادي للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٧٣-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي مُحَمَّد محمود الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٧٤-العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، بيروت: دار ومكتبة الهلال.

٧٥-فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرفَ على طبعه: محب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٧٦-فتح الرحمن في بيان هجر القرآن، لأبي أنس مُحَمَّد بن فتحي آل عبد العزيز، أبي عبد الرحمن محمود بن مُحَمَّد الملاح، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور سعيد بن مسفر القحطاني،

فضيلة الشيخ عبد الله بن مانع الروقي، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٧٧-فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، اعتنى به: يوسف الغوش، الطبعة الرابعة، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٧٨-فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: د. وصي الله مُحَمَّد عباس، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٧٩- فضائل القرآن وآداب التلاوة للإمام القرطبي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، نشر المكتب الثقافي.

٨٠-فقه الدعوة إلى الله، لعلي عبد الحليم، القاهرة: دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٩٩١م.

٨١-في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، الطبعة السابعة عشرة، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢هـ.

٨٢-قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات، لتقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: أبي مُحَمَّد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٨٣-القاموس المحيط، لمجد الدين أبي طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: مُحَمَّد نعيم العرقسُوسي، الطبعة الثامنة، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥م.

٨٤-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي مُحَمَّد معوض، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٨٥-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش ومُحَمَّد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٨٦-لسان العرب، جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: نخبة من الأساتذة العاملين بدار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة: دار المعارف.

٨٧-لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَّلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٨٨-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين أبو الحسين علي بن أبي بكر الهيثمي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ.

٨٩-مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٩٠- مختصر منهاج القاصدين، لنجم الدين أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، تحقيق: مُحَمَّد أحمد دهمان، دمشق: مكتبة دار البيان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٩١-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم الجوزية، تحقيق: مُحَمَّد حامد الفقي، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٩٢-مدارس التربية الإسلامية، لحسان مُحَمَّد، نادية جمال الدين، القاهرة: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٩٣-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان مُحَمَّد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٩٤-المستخلص في تزكية الأنفس، لسعيد حوى، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٩٥-المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، وبِذيله: التلخيص، للحافظ الذهبي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٩٦-المسند، لأحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٩٧-مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، لأبي مُحَمَّد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الطبعة الأولى، الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/٢٠٠٠م.

٩٨- مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى، الرياض: دار المغني، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٩٩- المشكلات التربوية الأسرية وأساليبها العلاجية، لخالد حامد الحازمي، دار العلم، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٠٠-المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، الهند: المجلس العلمي، ١٤٠٣هـ.

١٠١-المصنف، لأبي بكر عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الراشد، ١٤٠٩هـ.

١٠٢- معالم التنزيل، لمحيي السنة، أبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: مُحَمَّد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان الحرش، الطبعة الرابعة، مكة المكرمة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٠٣- المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ.

١٠٤- المعجم الصغير للطبراني، تحقيق: مُحَمَّد شكور محمود الحاج أمرير، بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م.

١٠٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.

١٠٦- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لأحمد زكي بدوي، بيروت مكتبة لبنان.

١٠٧- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٠٨- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٠٩- المفردات في غريب القرآن، للحسين بن مُحَمَّد الراغب الأصفهاني، تحقيق: مُحَمَّد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة.

١١٠- مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، لماجد عرسان الكيلانى، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١١١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

١١٢- منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، لأنس أحمد كرزون، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١١٣- منهج التربية الإسلامية في التصور الإسلامي، لعلي أحمد مدكور، بيروت: النهضة العربية، ١٩٩٠م، (٢٦٧).

١١٤- منهج القرآن في التربية، لمحمد شديد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٧٩م.

١١٥- المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، لطه جابر العلواني، المجلد الثالث، من بحوث المؤتمر الرابع للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الرابعة، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

١١٦- المنيحة بسلسلة الأحاديث الصحيحة، لأبي إسحاق الحويني الأثري حجازي مُحَمَّد شريف، تصنيف وانتقاء: أبي عمرو أحمد بن عطية الوكيل، مصر: مكتبة دار ابن عباس للنشر والتوزيع.

١١٧- الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

١١٨- موسوعة الأخلاق، لخالد بن جمعة بن عثمان الخراز، الكويت: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١١٩- الموطأ، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، صحَّحه ورقَّمه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

١٢٠- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، لأبي عُبيد القاسم بن سلّام الهروي البغدادي، تحقيق: مُحَمَّد بن صالح المديفر، الرياض: مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٢١- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن مُحَمَّد الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود مُحَمَّد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢٢- هجر القرآن العظيم أنواعه وأحكامه، لمحمود أحمد الدوسري، الدمام: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٢٣- الهدايات القرآنية -دراسة تأصيلية- لعدد من الباحثين، بإشراف: كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز، بجامعة أم القرى.

١٢٤- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي مُحَمَّد مكي بن أبي طالب القيرواني الأندلسي المالكي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٢٥- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، لأبي عبد الله الحسين بن مُحَمَّد الدامغاني، تقديم وتحقيق: عربي عبد الحميد علي، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢٦- ورتل القرآن ترتيلاً، لأنس كرزون، الرياض: دار ابن حزم، ٢٠٠٢م.

فهرس الموضوعات

